العدد ٦ تاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٠٩ السنة الاولى

سلسلة الروايات العقمانية

مجلة روائية أدبية تاريخية

تصدر كل عشرة ايام مرة و منها عشرون عدداً

(لمنشئها)

جورجي سعادة

(رواية)

مهارة سرور

أو بوليس دمشق السري بمصر

الجزء السادس

اشتراكها في مصر والسودان ٤٠ غرشاً صاغاً فى السنة

وفي الخارج خمسة عشر فرنكا

(كل طلب لم ترسل معه قيمته لا يقبل)

(ادارة المجلة)

بشارع المديرية امام اجزخانة الدكتور عبد الفتاح فهمي بطنطا

(ثمن العدد الواحد ثلاثة قروش صاغ)

مجلة سلسلة الروايات العثمانية

افضت الينا ملكية مجلة سلسلة الروايات العثمانية على اثر الانتهاء من طبع الملزمة الاولى من العدد الخامس حيث انفصل عن مشاركتنا في اصدارها حضرة الفاضل عثمان افندي حمدي — ولا يخفى ماتتطلبه هذه الخدمة التي اخذنا على عاتقنا القيام بها من المجهودات العظيمة والمتاعب الشاقة وقد آلينا على انفسنا ان لا نترك وسيلة من وسائل الاتقان في المجلة الا اتبعناها فعسى ان نرى من اقبال القراء على مجلتنا مايزيدنا تفانيا في خدمتهم والله الموفق المنوانات المختصه بالمجلة والمطبوعات ترسل رأسا باسمنا خاصة

جورجي سعاده صاحب مجلة سلسلة الروايات العثمانية وحكيم الاسنان بشارع المديرية بطنطا

سلسلة الروايات العثمانيه

﴿ مجلة روائية تاريخية غرامية ﴾

(لصاحبها)

﴿ جورجي سعاده ﴾

«السنه الاولى»
«العدد السادس»

تكرم حضرة الاديب والشاعر اللبيب خالد افندي رامز مدرس اللغه العربيه والتاريخ بمدرسة التوفيق بطنطا بهذين البيتين تقريظا

تجلت على القراء بكرا مصونة
أغار على التاريخ في وضعها القلم
فلا تقنعوا منها بظاهر حسنها
بلى فانشدوا اسرار المواعظ والحكم



﴿مهارة سرور او بوليس دمشق السرى بمصر﴾

الجزء السادس

(تأليف)

﴿سعاده بك موريل﴾

احد مستخدمي الدولة العثمانية سابقا

(صاحب المجله)

﴿جورجى سعاده﴾

مطبعة النجاح بمصر

تتمة الكلام

وبقى كذلك حتى شمل السكون السراى فدخلت توحيده عليه ووقعت على اقدامه تبكي

فامرها سيدى بان تقف وتخبره عن سبب بكاءها وحضورها اليه

فقالت وهي تمسح دموعها

اتيت ياسيدي لاخبرك عن حصول مؤامرة ضدك

قال ـ وما القصد منها

أجابت ـ القصد منها هلاكك

قال ـ ومن هم المؤتمرون ضدى

اجابت ـ هما احمد افندي وصديقه

قال ـ وما فائدتهما من هلاكي

اجابت اما صديقه فانها تريد هلاكك انتقاما منك علي ضربك اياها واما احمد افندي ففائدته عظيمة فهو يطمع في الميراث

قال ـ وكيف علمت بذلك

اجابت ـ سمعتهما يتحدثان فى هذا الامر واتتني صديقه وعرضت علي ان اضع لك السم في القهوة فخوفا من شرها وافقتها ظاهرا ولكني لم ادس لك السم كما تعهدت لهـا بل وضعت بدلا منه داخل القهوة سكر نبات

وشرحت تلك الخادمة الامينة لسيدي رضا ما دار بينها وبين صديقه من الحديث حتي قالت

وقد عزما على ان يأتيا الي بسم قتال هـذه الليلة كي ادسه لك فى القهوة لظنهما ان ذلك السم كان قديمـا فذهب مفعوله

هذا ماحصل ياسيدي فاعف عني

قال ـ واين ورقة السم التي اعطتكه اياها صديقه

اجابت ـ هاهي ياسيدى

ثم اخرجت من بين ثيابها ورقة مطوية

فاستلم سيدي الورقة وفتحها فرأي فيها السم السلياني القتال ولكنه لا زال مشكـكا فى امر نوحيده فقال

كيف تبرئي نفسك وتثبتي لى ان احمـد افندي وصديقه هما المتفقان على هلاكي وان الاخيرة هي التى اعطتك السم

اجابت ـ اخلع حذائك واتبعني فتسـمع باذنيك مايدور بين أحمد افندي وصديقه فيتأكد لك الخبر

فأطاعها سيدي وخلع حذائه وتبعها وما زالت سائرة وهو في أثرها حتى وقفت على باب غرفة أحمد أفندي وقالت

اقترب ياسيدي من الباب وتنصت الى حديثهما

فتقدم سيدي ووضع عينيه على ثقب المفتاح فرأى صديقه جالسة على مقعد مقابلا لاحمد افندي وأمين وسمع عمه يقول لها

والله لقد نجا الليله الماضيه ولكن لا ينجو هـذه المره فهل قبلت توحيده بان تستعمل السم لهلاكه

أجابت نعم

قال اتيتك بورقتين داخلهما سما يكفى لقتل خمسين نفسا

فواحدة منهما تعطيها لتوحيده كي تعمل بواسطتها على هلاك رضا

والاخري تهلكين بها توحيده حتى نأمن شر اباحتها أفهمت أيتها العزيزه

أجابت - نعم فهمت ولكن ألا اخطر علينا في ذلك

فضحك احمد افندي وقال

كلا فتقي ماتت بالسم بعد رضا لا بدان أخي فائق باشا يظن انها هي التي قتلت ولده وقتلت نفسها بعده حتى تخلص من العقاب

قالت - صدقت فنعم الرأى فاعطني الورقتين

فاخرج احمد افندى من جيبه ورقة مطوية وسلمها الى صديقه وقال

في هذه الورقة ورقتي السم فخبئيها داخل ثيابك

ثم أمرها بالخروج

فاختبأ سيدي وراء احد المقاعد حتي خرجت فاسرع وراءها حتي لحق بها وقبض على ذراعها وهزها بعنف وقال لها اين كنت ايتها الشقية

فاصفر وجهها وانذعرت ولكنها تجلدت وقالت له

وما شأنك واتباعي

ثم ارادت التخلص كي تفر ولكنه ضغط على ذراعها بشدة فصرخت من الالم وقالت

دعني وشأني

قال - انك تريدين الفرار ايتها الشقيه فماذا كنت تعملين في غرفة احمد افندى

فارتجفت وقالت

لن تسمع مني جواباً

قال - لا اريد منك جواباً فقد سمعت مادار بينك وبينه فاين ورقة السم يالعينة

اجابت - انى لم افهم ماتقول

قال - انك تريدين الانكار لا بأس فانا آخذها رغما عنك

ثم مد يده الى ثيابها واراد اخراج السم فصرخت فسمع صراخها احمد افندي ففتح باب غرفته ليري ما الخبر واذ رأي سيدي قابضاً على ذراع صديقه اصفر

وجهه وتأكد له ان ابن اخيه علم باتفاقهما فاقفل باب غرفته واطفأ القنديل وتناوم

واماسيدى فانه اطلق سبيل صديقه بعد انأخذ منهاورقتي السم وقصد غرفته فوجد توحيده له في الانتظار فوقعت المسكينه على قدميه طالبة منه الصفح فصفح عنها على شرط ان لا تخفي عنه ماتسمعه

وكنت في تلك الليله التي حدثت فيها هذه الحادثة نائما في غرفتي فما أشعر الا وقرع على بابها

فقلت من الطارق

أجابني صوت سيدي رضا قائلا

افتح يافيروز

ففتحت الباب فدخل سيدى رضا ووجهه يكاد يكون كالارجوان من الغضب وقال

لما تستيقظ في صباح الغد نبه على أحمد افندى وولده أمين بالخروج من الحرم وعدم الرجوع اليه

ونبه ايضا على عموم الاغوات والخدم بان لا يتركوهما يحادثان أحداً من الجوارى ولا يقتربا من

باب الحرم

فسألته عن السبب فأجابني قائلا

لا شأن لك في السؤال

فقاطع كاظم باشا فيروز أغا قائلا

اذا كان سيدك رضا رفض ان يخبرك بما حدث

فكيف علمت ذلك

أجاب ـ توحيده أخبرني بما حدث

فاندهش كاظم باشا وحقي وعطا أفندي من اعمال

أحمد افندي ضد ابن أخيه وقالوا بلسان واحد

أكمل حديثك يافيروز

قال فيروز

ولما كن صباح اليوم الثاني استيقظت وقصدت

غرفة أحمد افندي وقرعت بابها بشدة

فاستيقظ احمد افندي مرعوبا وقال

من بالباب

قلت ـ افتح أنا فيروز

ففتح وهو يرتجف من الخوف وقال

خيراً . أراك مبكرا يافيروز أغا

قلت — لقد امرنا سيدي بان نخرجك من الحرم

قال — آآخي امرك بذلك

قلت — كلا بل سيدي رضا فهيا واسرع

قال — ألا تمهل علي قليلا

قلت — كلا وتأكد انى اخرجك رغماً عنك اذا توقفت

فلم ينطق بكلمة بل ايقظ ابنه امين ونقل كلما يخصه من ملابس وخلافه الى غرفة جلوسه بالسلاملك الخارجي

الفصل التاسع عشر

التنزه في المزه

وفي المساء بينما كان سيدي رضا في المدينة اجتمع سيدي الوزير بسيدتي الهانم في خلوة ودار بينهما الحديث الآتى

— هل خاطبتِ يا زوجتي العزيزة ولدنا رضا في شأن زواجه بنازك

ـ كلا لم اخاطبه بعد

ـ ولم هذا التمهل

ـ لانى قلما اجتمع به على انفراد

ـ يلزم ان تخاطبيه في هذا الشأن لئلا يكون حبه لنازك اضناه

ـ اذا كان حبه لنازك شديداً فلماذا لا يبوح به الي

ـ ربما منعه عن ذلك الحياء

ـ سافاتحه في الزواج بها الليلة او غداً ان شاء المولى

ـ غدا يكون اوفق

***

استيقظ سيدي رضا في صباح اليوم الثاني وهو يوم الاحد عند بزوغ الشمس ولبس ملابسه الملكيه (١) واراد الخروج من الحرم فاعترضته سيدتي الهانم وقالت الى اين ياولدي

اجاب ـ قد عزمت على الذهاب الى المزه للتنزه فيها

---

(١) تقفل عادة ابواب دواوين الحكومه العثمانيه في يومي الاحد والجمعه

فنظرت اليه بحنو وقالت

كم اود ياولدي ان ارافقك في نزهتك

اجابها ـ اسر كثيرا ياوالدتى اذا رافقتيني فهيا اذن واستعدي

قالت ـ ونأخذ نازك معنا

اجابها ـ كما تشائين

واخذت سيدتي الهانم في الاستعداد مع نازك وتوحيده حتى اذا تم ذلك ركب سيدي رضا ووالدته في عربة وجلس ديلاور تابع سيدي رضا الخصوصي بجانب السائق للمحافظه

واما انا ونازك وتوحيده فركبنا عربة اخرى وسارت العربتان بجانب بعضها على مهل حتى خرجتا من دمشق وسارتا بين صفين من البساتين والحدائق تتدلى منها اثمار الاشجار وتفوح منها روائح الازهار

فاخرج سيدي رأسه من نافذة العربه فوقعت عيناه على نازك الجميله تتطلع الى البساتين من نافذة عربتها وقد شابهت نرجسة في زمن الربيع فاندهش من حسنها

وكان نسيم الصباح المنعش يلاعب شعرها الذهبي ويتلاعب به كما يتلاعب بفروع الاشجار حتى عبث بترتيبه

فبقيت تائهة النظر في مناظر الطبيعة البديعة حتى ايقظها صوت سيدي رضا قائلا

كيف رأيت هذه البساتين يانازك

فاجابته ووجنتاها قد شابهتا وردا من الخجل

انها تشابه الجنان فلمن هي

قال وهو يبتسم

انها من املاك والدي

فنظرت اليه بعينين نجلاوين وقالت

وهذه الحقول

أجابها — هي ملكنا ايضا

قالت — انكم لسعداء

ثم تاهت في بحر من الافكار ولا أعلم فيما ذا كانت تلك الحسناء تفكر لانه لا يعلم بما في القلوب الا الله

وما زالت العربتان سائرتين حتى وصلتا بلدة المزه

ووقفنا على باب قصر فخيم تحتاط به حديقة كبيره

فدخلنا القصر وتوارد علينا المزارعون للسلام وقدموا مالديهم من الهدايا الى سيدي رضا وهي قشطة ولبن وزبده وفاكهة

وبعد ان جلس سيدي رضا مع والدته ونازك برهة قال لهما

انا ذاهب لمناظرة الزراعة وسارجع بعد قليل من الزمن

فالتفتت اليه نازك وهي تبتسم عن لؤلوء وقالت

هل كان الشرط بيننا ان تأتى بنا الى هنا وتتركنا وتخرج

فنظرت سيدتي الهانم الى نازك فوجدت وجهها قد شابه الجلنار فتأكدت بانها تحب رضا حباً شديداً فالتفتت اليه وقالت

صدقت نازك فيماقالت ياولدي فكيف تتركنا وتخرج

اجابها - لاغيب عنكما اكثر من ساعه

قال ذلك وخرج

فاخذت سيدتى الهانم بيد نازك وسارتا الى الحديقه وتبعتها انا وتوحيده

وما مضي على غياب سيدى رضا خمس عشر دقيقه حتى بدا على وجه نازك القلق واخذت تلتفت من آن الى آخر جهة باب القصر

فلحظت ذلك سيدتي وقالت لها

مالى اراك قلقة يابنيتى

اجابت ـ لقد تأخر

قالت ـ ومن هو يانازك

فاحمر وجه نازك خجلا ورمت بنظرها الى الارض ولم تجاوب فضحكت سيدتى الهانم وقالت

لاتقلقى يابنيتى فلا يلبث ان يأتى رضا

ثم التفتت الينا وقالت

ابتعدا قليلا

فابتعدنا عنهما فدار بين نازك والهانم الحديث الآتي

ـ تعالي يابنيتى يا نازك واجلسي بجانبي على هذا

اقعد ودعيني احدثك قليلا

لماذا اراك قلقة لغياب رضا ولماذا كلما ذكرتيه

تحمرين خجلا

ـ سيدتي

ـ ارفعي عنك الخجل يابنيتي وجاوبني فهل تحبين

رضا

ـ كيف لا أحبه وهو سيدي والمالك لقيادي

وهل هو يميل اليك كما تميلين اليه

ـ لم يفاتحني بعد بحبه ولكن معاملته الحسنة لي

وانعطافه نحوي يؤكدان لي حبه

ـ ألم تحادثا في خلوة مطلقاً

ـ مرة واحدة ياسيدتي

ـ بوحي بما دار بينكما الي ولا تخشين بأساً

ـ لما اتيت من الاستانة الى دمشق وحدث

ما حدث من رغبة امين ابن سيدي احمد افندي في

الاقتران بي فقصدت غرفه سيدي رضا ووقعت على

قدميه وطلبت منه ان يعفوني من الزواج بامين لانني

لا اطيق فراقه والابتعاد عنه وانني ابقى جارية وخادمة له ما عشت

فاوعدني بانه لا يعمل الا على حسب ارادتي وهذا ما دار بيننا ياسيدتي

ـ الا زلت مصممة ان تكوني جارية له

ـ نعم فقد افهمته ذلك مراراً

ـ اذن فانت المحقوقة بابتعادك عنه

ـ وكيف ذلك ياسيدتي

ـ لقد اخبرتيني ان رضا عاهدك ان لا يعمل الا ما يرضيك

ـ نعم وقد أقسم لي بذلك

ـ اذن فلماذا لا تدخلين عليه في غرفته وتلقين بنفسك عليه حتى يعلم انك راغبة فيه

ـ ما هذا الكلام ياسيدتي حاشا لسيدي رضا ان يخرج عن حدود الادب

ـ وهل هذا يعد تجاوزاً لحدود الادب اذا كنت انت رافضة قبول العتق واذا رغب فيك رضا فهل يكون

قد يحمل ضد الشرع

ـ كلا ولكني لاحظت انه كان يتحاشى ان نجتمع على انفراد

ـ سأدبر هذا الامر الليلة فاطمئني

وهما كذلك سمعا وقع اقدام فالتفتت نازك فرأت سيدي رضا قادما نحوهما فقالت

هاهو قد أتى

وتقدم سيدي رضا منهما ولوائح البشر تلوح على محياه وقال

الزراعة في اراضينا على غاية ما نروم

فالتفتت اليه سيدتي الهانم وقالت

لماذا تأخرت حتى الآن

فاجابها وهو يبتسم

لم اتغيب عنكما الا نصف ساعة فقط

فقالت سيدتي الهانم وهي ترمق نازك بطرف خفي

ولكن نازك وجدتها كالف عام

فالتفت سيدي رضا الى نازك وقال

أحقا اني تأخرت ياعزيزتي

فاحمر وجه الفتاة وقالت

لا اعلم ياسيدي

فقال لها وهو يضحك

اذا كان يعز عليك غيابي فانعهد لك باني منذ الآن لا اسير الا كما ترغبين

ورقص فؤاد نازك طربا لما رأت من انعطاف رضا نحوها وظنت في نفسها انه يهواها فزاد حبها له اضعافا لما كان عليه

الفصل العشرون

« التحرير وتأثيره على رضا »

وفي المساء رجعوا الى دمشق ودخلوا السراي واجتمعوا حول مائدة الطعام وتناولوا هنيئاً وشربوا مريئا وتفرقوا كل قاصدا غرفته لما اصابهم من التعب في التجول

وقبل ان يخرج سيدي رضا من غرفة المائدة قبضت سيدتي الهانم على ذراعه وقالت له همسا

انتظرني في غرفتك

فسار سيدي رضا الى غرفته وجلس فيها ينتظر والدته فدخل عليه (١) فرحات اغا وناوله تحريراً باسمه

فاخذ سيدي التحرير وقلبه فلم يجد عليه طابع البوسته فالتفت الى فرحات أغا وقال

هذا التحرير من دمشق

اجاب ـ هو كذلك

قال ـ وممن استلمته

اجاب ـ من صبي صغير وقد أوصاني ان اسلمه لك يدا بيد

ففض التحرير وقرأه وكان به ما يأتى

« عزيزي رضا بك

ابثك اشواقي . وبعد فقد بلغني هذين اليومين

---

(١) ثاني اغوات السراي ولا أظن القاوىء نسيه فهو الذي عينه شريف اغا لخدمه فائق باشا

بانك اهنت سيدك الوزير فائق باشا وبعض حرمه فغضب عليك

ومما زاد كدره منك هو طردك شقيقه احمد افندي وولده امين من الحرم

وقد علمت من ثقة انه قد عزم عند أقل هفوة تصدر منك على طردك من الدائرة بعد ان يجردك مما تمتلكه

وقد يخطر على بالك ان الاب يتغاضى عما يفعله ابنه من الهفوات حنوا منه عليه هذا اكيد ولكنك لست ابن فخامة الوزير فائق باشا بل ولد لقيط وجدك على قارعة الطريق وكنت طفلا فحن قلبه عليك وحملك الى السراى واحسن تربيتك وعاملك كانك ولده

فكيف يتغاضى فخامته عن اهانتك اليه والى حرمه بعد ان أحسن معاملتك وقد عزم اذا عدت الى ما كنت عليه أن يطردك ويشيع بين الملا حقيقتك . فانصح لك أن تعدل عن سيرك المعوج لئلا تندم اخوك

صادق الوداد»

فلما أتى سيدي على آخر التحرير تغيرت ملامحه وشعر كأنه صب على رأسه ماء بارد

وبعد برهة من التفكير التفت الى بخيت اغا وقال ألم يخبرك الصبي من الذى سلمه هذا التحرير

اجاب ـ كلا ياسيدي فانه بعد ان سلمنى اياه ونبه علي ان اسلمه لك فر واختفى بين الازقة

فامره سيدى بالخروج وسبح فى بحر من الافكار معتمداً رأسه بيديه وكان يسأل نفسه

احقاً انا لقيط ... ربما لاني سمعت الهانم قالت مراراً انها لم ترزق ببنين من احشائها

ثم اذكر ان الوزير قال لى لما منعته عن قتل محمود « لقد تجاسرت ومنعت سيدك واصل نعمتك » .... سيدك واصل نعمتك . اذن فقول راسل التحرير حق وانا لقيط

فصغر في عيني نفسه ونزلت دموعه واخذ ينتحب كالاطفال . وهو كذلك سمع اقدام تقترب من غرفته فمسح دموعه وقابل والدته وهو بتلك الحالة من الحزن والكدر

فتعجبت سيدتي الهانم اذ رأت آثار الدموع على وجنتيه وقالت له لماذا كنت تبكي

ولما لم تسمع منه جوابا ظنت انه يبكي من هيامه بنازك فتقدمت منه مبتسمة وضمته الى صدرها وارادت ان تقبله ولكنه تملص من بين ذراعيها ووقف بعيداً عنها

فاندهشت سيدتي الهانم مما فعل وقالت له

لماذا تبتعد عنى ياولدى

فرنت الكلمة الاخيرة « ياولدي » فى اذنه وتذكر مايتضمنه التحرير فزفر بشدة واجابها

لااستحق ياسيدتي كل هذه المعاملة

فقالت بتعجب

الست ولدى فاعاملك بحنو

ثم طوقته بذراعيها واخذت تقبله وهو مستسلم لها وقالت ماالذى كدرك فمنذ أتيت من الاستانة وانت بعكس الحالة التي كنت عليها

فاجابها بصوت اجش وهو يذرف الدمع

لا شيء

قالت ـ اذن لماذا هذه الدموع . أظنك خائفاً من
مؤامرة ضدك

أجاب ـ لقد توهمت ذلك

فضحكت وقالت

اذن فالحب هو الذى صور لك كل هذه الاوهام

فنظر اليها مندهشاً وقال

حب من

قالت ـ (آه ياخباص) الا زلت تنكر عني حبك
الى نازك

قال ـ حبي لنازك .

قالت ـ نعم لالزوم للانكار فهل تعلم لماذا اتيت اليك

قال ـ كلا

قالت ـ لاخاطبك بشأن اقترانك بنازك ويكون
كتب الكتاب بعد ثلاثة أيام

فتحير سيدي رضا مما سمع ولكنه قال

واذا كنت لا أرغب الاقتران بها

فاندهشت من تمنعه ولم تكن تنتظر منه هـذا

الجواب بل كانت تنتظر منه ان يقبل بسرور لظنها انه عاشق لنازك

فقالت له بعد برهة من السكوت

ولماذا ترفض الاقتران بها

أجاب ـ لانه يوجد مانع يمنعني عن ذلك

قالت ـ وماهو هذا المانع الذي يمنعك بزواج من تحب

أجاب — لا أقدر ان أبوح به لاحد

قالت — ولا الي أنا أيضا

أجاب — حتى ولا اليك

قالت ـ ولكني اريد ان اعرف هذا المانع

أجاب — يستحيل ان ابوح به

ثم سكت سيدي رضا برهة وقال في نفسه

انها تريدان ابوح لها بحبي لعين الحياه والله الموت أهون من ان تعلم به

وكانت سيدتي الهانم تنظر اليه باهتة متعجبة من توقفه راغبة في معرفة ذلك المانع فعزمت ان تدقق وتلح عليه عساه يبوح لها به فقالت

الا تبوح لي ياولدى بذلك المانع الذي يمنعك من الاقتران بنازك

فاجابها — اباحتي به اليك يقضي بفقد حياتي

قالت — بما انى والدتك ولي حق التربية فآمرك بان تطلعنى على هذا السر

قال — الا تعفينى من افشاءه

قالت — كلا اريد ان اعرفه كي أخفف مابك من الكدر

قال — اذن فاسمحي لي ان اصلى الى الله ركعتين قبل ان ابوح به

قالت — لا بأس صل ياولدى فعسى ان الله يزيل عنك الكدر

الفصل الحادي والعشرون

رضا اطلق الرصاص على نفسه

فقام سيدي رضا وتوضأ وفرش سجادة الصلاة

وصلى ركعتين ورفع نظره ويديه الى السماء وقال

اللهم يامالك السموات والارض وما عليها انا استجير بك وبعرشك وباللوح والقلم المحفوظين وبملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر ان لاتعاملني عما نويت فما عاد لي اصطبار على احتمال متاعب هذه الدنيا الفانية طالبا منك العفو واني متأكد بانك تستجيب دعائي وتعفو عني لانك غفور رحيم

قال ذلك بحرارة وبدموع غزيرة وقام وتقدم من والدته وقال لها

الا زالت مصممة على معرفة السر

قالت — نعم

قال — أوصيك اذن خيرا بنازك فانظري اليها بعين الحب وعامليها كما كنت تعامليني وعزيها بعد مفارقتي لكم وانتقي لها زوجا موافقا

قالت — ما معنى هذا الكلام ياولدى وكيف تترك هذه الغزالة وتذهب فانزع من فكرك هذه التخيلات والتصورات وأطلعني على سر توقفك

قال ـ ولكنك قبل ان افوه اليك بكلمة من هذا السر ستفقدني فظننت أنه يمزح

فقالت ـ له

بالله عليك ياولدي ان تخبرني عن سبب توقفك للاقتران بنازك ولما رأى سيدي رضا الحاج والدته تقدم من خزانة ملابسه وأخرج مسدسا مملوءا رصاصا وأطلقه على نفسه فسقط على الارض يختبط بدمه

فقال ـ كاظم باشا

ولماذا يافيروز لم يخبرها بحبه لنازك

أجاب ـ لما وصل الي سيدي التحرير وقرأ مافيه ظن نفسه لقيطا واعتبر نفسه ليس أهلا لعين الحياة لاسيما وان الحاج والدته عليه بالاقتران بنازك اكد ظنه فرأى الموت اهون من ان يبوح لها بحبه لعين الحياة

قال ـ كاظم ولماذا لايتزوج بنازك

اجاب فيروز ـ لانه لايميل اليها بل يهوى عين الحياة وأقسم لها بان يبقى معها على الحب حتي يقترنا

قال ـ هذا هو السبب فاكمل حديثك يافيروز

قال ـ فيروز

فهجمت سيدتي الهانم على ولدها وانتزعت المسدس من يده وأخذت تصرخ وتبكى فاستيقظ على صراخها سيدي الوزير والاغوات وقصدوا غرفة سيدي رضا فوجدوا سيدتى الهانم مغمى عليها وسيدى رضا مضرجا بدمائه

فحمل سيدى الوزير ولده الى سريره وأخذ يتأمل في وجهه دون ان يفوه بكلمة كأنه صعق أو اصيب بجنون

ولما وصلت أنا الى غرفة سيدي رضا ونظرت ماحدث اسرعت الى غرفة الطبيب سمعان وايقظته واخبرته بما حدث

فقام يركض وهو بثياب النوم ودخل غرفة سيدي رضا وفحص جرحه وأخذ في عمله الجراحي لاخراج الرصاص من كتفه الايسر

وحانت مني التفاتة الى سيدتي الهانم التي كانت لاتزال على الارض مغمي عليه وبيدها المسدس كانه

سمر فيها فوجدت احمد افندى قابضا على يدها ومصوبا فوهة المسدس الى صدرها مظهرا انه يريد استخلاصه من يدها والحقيقة انه كان يرغب ان يخرق احشائها برصاصه لان اصبعه كان على زناد المسدس

فهجمت عليه وحولت الفوهة الى السقف فخرجت منه الطلقة التي كان احمد افندى مزمعا ان يقتل بها سيدتى

ثم استخلصت المسدس من يد الهانم واخرجت احمد افندي الى خارج الغرفة حتي لا يعود الى اذيتها

فاشتد باللعين الغيظ من فعلى وقبض بغتة على عنقي وضغط عليه بشدة حتي اغمي علي وكاد يقتلني لولم يخلصني اثنين من الاغوات من بين يديه

ولما رأيا ماصار بي منه اخذا يضربانه بدون رحمة وهو يستغيث حتي سمع صوته سيدي الوزير فمنعهما عن ضربه وامره بالخروج ظنا منه انه هو الذى قتل سيدى رضا

فاطاع احمد افندى رغما عنه وخرج وعيناه تتقدان غيظا

وبعد ان عدت الى صوابي ببرهة سمعت صوت استغاثة خارجا من غرفة نازك

فاسرعت الى الغرفة فوجدت امين بن احمد افندى قابضا على عنق توحيده يريد خنقها

فهجمت عليه وخلصتها منه واردت أن اخرجه من غرفة نازك فتوقف وقال

كيف تخرجني من غرفة خطيبتى

قلت ـ كذبت هى ليست لك بل لسيدي رضا

قال ـ ولكنه مات الآن فهى لي وانا صاحب الامر والنهي ثم رفع يده كي يضربني

ومما اصابني من الكدر من والده قبضت على شعر رأسه وجررته منه حتى اخرجته خارج الغرفة وسلمته الى بخيت اغا وامرته بان يضربه اذا توقف عن الخروج وان ينبه على عموم الخدم بعدم دخوله ووالده الحرم

***

وتوقف فيروز اغا عن الكلام اذ سمع جرس الباخرة يقرع تنبيها للركاب كى يقصدوا غرفة المائدة

ليتناولوا الطعام



بعد الغزاء اجتمع اصحابنا الاربعة في مكانهم المعتاد فقال كاظم باشا يخاطب فيروز اغا

لقد حدثتنا بان امين بن احمد افندى دخل غرفة نازك وقبض على عنق توحيده كي يخنقها

فكيف تسنى له دخول الحرم ولماذا اراد قتل توحيده خنقاً

اعرني سمعك ايها الوزير فاحدثك

كلي آذان صاغية

كانت نازك فى غرفتها نائمة كالملائكة فاستيقظت على صراخ سيدتي الهانم حينما اطلق سيدي رضا الرصاص على نفسه

وقامت مذعورة من فراشها واسرعت الى غرفة سيدي رضا وهي بلباس النوم واذ رأته في تلك الحالة التي تفتت الاكباد رمت بنفسها عليه وغابت عن الصواب فحملتها توحيده الى غرفتها وفككت اذرار ثوبها

واخذت تفرك لها صدرها بيديها

وهي كذلك دخل أمين بن احمد افنـدي كلص بدون ان تشعر به وكان قدشعر بانالاغوات مشغولين عما اصاب سيدي رضا

وتقدم من نازك وصـدرها عار واراد ان يفرك بيديه صدرها فانتهرته توحيده وقالت له

ما هذه الجسارة يا امين . كيف تدخل على النساء وهن عاريات الاجسام

فاجابها وهو تائه في محاسن نازك وجسمها الناصع البياض كبلور قائلا

أليست نازك خطيبتي ياتوحيده فما المانع من دخولي عليها سواء كانت عارية الجسد أولابسة ثيابها

فتعجبت من وقاحته وقالت له

اخرج من هنا وكفاك وقاحة

اجاب ـ كلا لا اخرج حـتى تعود الى وعيها واكلمها

قال ذلك ومد يده الى صدر الفتاة البلوري

فاستشاطت توحيده غضبا وجذبت يده وارادت اخراجه من الغرفة رغما عنه ولكنه قبض على عنقها حتى كاد يخنقها لو لم ادخل واخلصها منه

هذا هو السبب أيها الوزير

ـ عجباً عجباً يا فيروز اكمل حديثك

ـ بعد اخراج امين افندي من غرفة نازك قصدت غرفة سيدي رضا لارى ما تم من فحص الطبيب فوجدته قد ضمد الجرح بعد ان غسله جيدا وسكب عليه المراهم

فالتفت اليه سيدي الوزير وقال

كيف حال رضا الآن

اجاب ـ جرحه غير مخطر وانما يجب مداراته

وما كاد الطبيب يتم كلامه حتى اخذ سيدي رضا يحدث نفسه بكلام غير مفهوم قائلا

آه . . . . تريد ان . . . . تعلم . . . . تعلم . . . . اني عرفت . . . كلا كلا . . . الآن قد . . .

فقال الطبيب

هذا ما كنت اخافه فقد اتته الحمى

ثم اشار الى سيدي الوزير بالسكوت وأمر الجميع بالخروج فخرجوا الا الوزير والهانم

وبعد هنيهة كان فيها الطبيب يلاحظ سيدي رضا التفت الى سيدي الوزير وقال همسا

يجب ان تنبه بان لا يدخل احد هذه الغرفة مطلقا

فتقدمت الهانم وكانت قد عادت الى وعيها وقالت ودموعها جارية حتى ولا انا

اجاب ـ ولا انت ياسيدتي

قالت ـ كلا لا اخرج وهو بهذه الحالة

اجاب ـ اذا كنت تحبينه فاخرجي حتى لا يحدث ما يشوشه

فسأله سيدي فائق باشا قائلا

هل تحسنت صحة رضا

اجاب ـ كلا ولكن لا يخشى على حياته الا من حمى خبيثة

قال ـ سلمت امري الى الله فهو القادر على انقاذه

ثم نبه على الاغوات بعدم دخول غرفة رضا الا
توحيده لقضاء ما يطلبه الطبيب
وامر بخيت اغا بان يبقى كحارس على الباب كي
يمنع كل من اراد دخول الغرفة

الفصل الثاني والعشرون

« ديلاور يضرب احمد افندي »

لما اخرج الاغوات احمد افندي من الحرم تصادف ان ديلاور تابع رضا الخصوصي كان واقفا على بابه والحزن باد على وجهه يسال كل من دخل وخرج من الحرم عما اصاب سيده رضا لانه كان يحبه حبا يفوق حب الوالد لولده

فعلم بعد الجهد من الاغوات انه اصيب برصاصة في كتفه وانه ملقي على فراشه غائبا عن الصوب

فتناثرت الدموع من عينيه وبكي بكاء شديداً وبقي في مكانه حتى خرج احمد افندي

وكان الاخير وهو خارج يتوعد الاغوات باشد

الانتقام لما اصابه منهما من الضرب الموجع

فظن ديلاور انه هو الذي اطلق الرصاص على سيدي رضا فمد اليه ساعديه القويين واختطفه كما يختطف الباشق العصفور وجلد به الارض

فكاد احمد افندي يغيب عن الصواب مما اصابه وقام وهجم على ديلاور لينتقم منه

ولكن ديلاور الجبار لم يمهله ان يرفع يديه بل ضربه بجمع يده رماه على الارض والدم يسيل من انفه وفمه

ثم برك عليه وهو يقول

والله يابن اللئام ما عاد لك حياة بعد ان اطلقت الرصاص على سيدي رضا ولكنك لا تموت كما يموت الناس الكرام بل اقتلك كما لو كنت اقتل وحشا ضاريا

ثم قبض بيده على زراعي احمد افندي واخذ يضربه بجمع يده بقوته الهائلة وهذا يستغيث ولكن من يغيثه والخدم والاغوات بل وجميع من في السراي يكرهونه وبالفعل كان قد عزم ديلاور على قتله لولا ان

خلصه دخول المشير والوالي وبعض وجهاء المدينة

وكان قد بلغهم ما حصل في منزل سيدى فائق باشا من الخدم فاتوا كي يستعلموا عن السبب فيما اصاب سيدى رضا

فسمعوا وهم داخلون السلاملك استغاثة احمد افندى ورأوا ديلاور باركا عليه يضربه بكل قوته فاسرعوا وخلصوه من بين يديه بعد ان تهدد الوالى ديلاور بالقبض عليه اذا مد اليه يداً

فقام احمد افندى وهو ينفض غبار الموت والدماء تسيل منه

وكان سيدى الوزير في اثناء ذلك داخل غرفة سيدى رضا وقد استحوذت عليه الاكدار حزينا كئيبا لما اصاب ولده رضا

فبينما هو كذلك دخل عليه احد الاغوات وقال له المشير والوالى وبعض وجهاء المدينة في انتظارك فقام سيدي الوزير وخرج الى السلاملك الخارجي

ورحب بهم

فسأله المشير عما حدث فاخبره سيدى بما حصل

قال — المشير ومن الذى اطلق الرصاص على رضا بك

أجاب ـ لا اعلم ولو لم يكن رضا غائبا عن الصواب لعلمت منه كل شيء

قال — ولماذا اذن كان الخدم يضربون احمد افندى متهمينه بقتل رضا فاندهش سيدى الوزير اذ لم يكن يعلم بما اصاب احمد افندي في السلاملك الخارجي وقال من الذي ضربه

اجاب — ديلاور وقد سمعته انا ومن معي يقول له

والله يا ابن اللئام ما عاد لك حياة بعد ان اطلقت على سيدى رضا الرصاص

ولولم نخلصه من يده لكان قتله

فتعجب الوزير مما حدث وامر احد خدمه ان يأتيه باحمد افندى

فلبى الخادم الامر وسار واتاه به

فسأله الوزير قائلا وقد بلغه طرد احمد افندي من احد اتباعه

ما الذى ادخلك الحرم بعد ان امرك ولدى بعدم الدخول اليه

اجاب لقد استيقظت هذه الليلة مذعوراً على الصراخ داخل الحرم فخرجت من غرفتي لاعرف السبب فبلغني من الخدم والاغوات ان عزيزى رضا قتل بغرفته

فلعظم محبتي له اسرعت الى داخل الحرم وقصدت غرفة رضا فوجدته ملقى على الارض مضرجا بدمائه وسيدتي الهانم بجانبه ماسكة بيدها مسدسا مصوبا الى صدرها وغائبة عن الصواب

وانا على وشك ان آخذ منها المسدس حتى لا تصاب بضرر هجم علي فيروز اغا واخذ يضربني

واردت ان ادافع عن نفسى فقبضت على عنقه فانهال علي الضرب من الاغوات ولولم تأت وتخلصني لكانوا قضوا علي

ثم امرتني بالخروج من الحرم فخرجت دون ان

افوه بكلمة فلما وصلت الى باب الحرم جذبني ديلاور وانهال علي ضربا بيديه الحديديتين كاني لست بشرا وكأني اجتنيت ذنبا استحق عليه ضربه

ويعلم الله اني كنت اشعر حينما كان يضربني كأن مطرقتين من حديد تحطمان جسمي وكدت ان افارق هذه الحياة لولا أن سبب الله لي دخول دولتي المشير والوالي فخلصاني من هذا الجبار

فقال سيدي الوزير وهو منذهل

ألم يكن لك يد فيما أصاب رضا

اجاب — « حرام عليك » لاتتهمني ياسيدي فكيف اتسبب في قتل ابن اخي

ثم اخذ يبكي

فاقتنع سيدي الوزير ببراءته ظنا منه انه مخلص الي ولده وتكدر مما أصابه من ديلاور

فامر باحضاره ولما اتى سأله عن سبب ضربه لاحمد افندي

وكان الدم لا يزال يغلي في عروق ديلاور والشرر

يتطاير من عينيه كأنه عفريت فاجاب سيدى الوزير على سؤاله قائلا

ضربته لانه قتل سيدى

قال ـ ومن اعلمك بانه هو الذي اطلق الرصاص على رضا

اجاب ـ علمت ذلك من وجوده في الحرم مع ان سيدي رضا طرده منه في هذا الصباح

قال ـ ولكن كان لا يجب ان تجري شيئا الا بامري

وكان ديلاور اصيب بجنون فلم يعد يعي الى مايتكلم به فقال

لا لزوم لاخذ آوامرك فما دام قتل سيدي فلا بد من قتله وان طار الى السماء فلا لحقنه

وكان سيدى الوزير حليما مع خدمه لاسيما الامناء منهم والمخلصين كديلاور فلم يتكدر في بادىء بدء منه بل قال

ما هذه الجسارة ياديلاور

اجاب ـ لقد قررت قتله فسأقتله هذه الليلة ولو وقف في وجهي اهل الارض

قال ـ ولكني آمرك بان تعدل عن ذلك والا فآمر بالقبض عليك فاخرج من هنا

اجاب وعيناه تلمع كياقوتة

لا اخرج حتى اقضي عليه

ثم هجم يريد امساك احمد افندي وكان هذا من خوفه من ديلاور قد وقف وراء سيدي الوزير والمشير والوالي وهو يرتعد فوقف الوزراء في وجهه ومنعوه عن ان يصل الى احمد افندى

واستشاط سيدي الوزير غضبا من انتهاك حرمته أمام الوزيرين ووجهاء المدينة وامر عموم خدم السراى بان يخرجوا ديلاور

فتكاثر الخدم على ديلاور ولكن كانوا كانهم يجذبون عاموداً حديديا

فان ديلاور مكن قدميه في الارض حتى صارتا كوتدين ولكن بعد الجهد اخرجوه من الغرفة

وطلب سيدي الوزير من الوالي ان يأمر بالقبض على ديلاور وارساله الى السجن

فلبي الوالى طلبه وبعث احد الخادم فاتاه بشرطيين فامرهما بالقبض على ديلاور فقبضا عليه وساقاه الى السجن

الفصل الثالث والعشرون
الاتفاق على هلاك رضا ثانيا

فلما رأيت ماأصاب ديلاور بعد ان خدم سيدي الوزير بامانة واخلاص تكدرت وصممت على أنه متي خرج الزائرون أدخل عليه وأطلب منه إعفائي من خدمته حتي لا أقع تحت المسؤولية اذا حصل لسيدي رضا مايضر به لانى تأكدت ان أحمد أفندى بخبثه قد تمكن من التقرب من سيدي الوزير اكثر مما كان قبلا وصار امامه المجال واسعا للتدبير على هلاك سيدى رضا

وبعد اخراج ديلاور من الغرفة المجتمعين بها

الوزراء سبح سيدي الوزير في بحار من الافكار وشمل السكون الغرفة بعد تلك الضجة التي احدثها ديلاور

وكأن على رؤوس المجتمعين الطير فلم يكن يسمع في تلك الغرفة الا تنفسات القوم

وكأنه خطر على سيدى الوزير خاطر فالتفت الى أحمد أفندى وقال

لماذا طردك ولدي رضا من الحرم انت وولدك

اجاب بكر لا أعلم السبب ولكن ربما وشي بي اليه خدمه الذين يكرهونني كثيراً

قال ـ ولماذا يبغضك الخدم

أجاب ـ لانى لاحظتهم مراراً يغرون سيدى رضا على السير فيما يحرمه الله وعارضتهم وتهددتهم بشكواهم اليكم

فلهذا تراهم يبغضونني ويشون بي اليه كذبا ولربما متى شني رضا يطلبون منه ان يطردني من الدائرة

قال ـ لا بأس لاتتكدر من ولدى رضا بل سامحه وها أنا أسمح لك بدخول الحرم ولكن لاتظهر نفسك

لرضا وهو مريض لئلا يصيبه مالا تحمد عقباه
فاراد أحمد افندى أن يقبل يد الوزير خبثاً ومكراً منه ولكن سيدى منعه لطيبة قلبه وأجلسه بجانبه وقال له
ما رأيك فيما أصاب رضا الليله ومن يكون ياترى الفاعل
اجاب ـ لا أعلم ولكن لا يتجاسر أحد على دخول غرفته واطلاق الرصاص عليه الا خدمه
قال ـ وعلى من من الخدم تضع شبهتك
أجاب ـ أظن ان لا حد يتجاسر على مثل هذا العمل الا فيروز اغا وخادمة رضا الخصوصية توحيده
قال فيروز اغا
اتهمني احمد افندي اللعين واتهم توحيده أيضا وهو لا يعلم ان سيدتي الهانم كانت في الغرفة مع رضا حين حدوث الحادثة وكان يظنها اتت على صراخ رضا بعد اطلاق الرصاص
فقال سيدي الوزير

وما رأيك — فهل قصد القاتل قتل الهانم ايضا فقد كانت موجودة حين حدوث الحادثة

فاصفر احمد افندى وارتبك في امره وقال

هل كانت سيدتي الهانم في الغرفة حين اطلق الرصاص على رضا

اجاب ـ لاشك لانها هي التي استغاثت وايقظتنا بصراخها

فزاد اصفرار احمد افندى حتى شابه الموتى اذظن ان صديقة هي القاتلة لرضا

وخيل له الوهم ان الهانم رأتها وهي تطلق الرصاص على ولدها فقبضت عليها

وانها أي الهانم ستعذبها حتى تقر باتفاقها مع احمد افندى على هلاك رضا

هذا ما خيله الوهم لاحمد افندى فاخذ يرتعش وينتفض من الخوف ولكنه تجلد وقال

مادامت سيدتي الهانم كانت عند رضا حين اطلاق الرصاص فلا بد انها رأت الفاعل

قال الوزير ـ لا شك وسأعلم غداً الحقيقة وينال مني الجاني جزاءه

* * *

لو كان لاحمد افندي جناح لطار الى صديقه كي يعلم سر المسألة منها لانه كما قلنا يظنها القاتلة وليلتمس منها انكار اشتراكه معها ويوعدها بالخلاص بواسطته

فخرج تاركا سيدي الوزير وزائريه في لجج الافكار وقصد الحرم الى غرفة صديقه

فقابله احد الاغوات ومنعه من الدخول فرجع الى الوزير واخبره بذلك فنادى هذا الاغا وامره بان لا يعترضه

فدخل احمد افندي الحرم ثانيا فوجد صديقه على باب غرفتها تسال احدى الجواري عما حدث وقد ظنت ان احمد افندي هو الذي اطلق الرصاص على رضا حتى لا يخبر ولده باتفاقهما هي واحمد افندي على هلاكه

وابتعدت الجارية التي كانت تحادث صديقه اذ رأت احمد افندي يتقدم الى الاخيرة ودار بين الشقيين

أي الاخير وصديقه الحديث كما يأتي

ـ ماذا جرى ياسيدي لرضا

ـ ألست التي اطلقت الرصاص عليه

ـ انا كلا فلم اخرج من غرفتي منذ امسكني رضا واخذ مني السم

ـ عجبا كنت اظنك التي اطلقت عليه الرصاص

ـ كلا ولماذا انكر عليك اذا كنت فعلت ذلك ولكن هل اتهمني احد

ـ كلا لانه لم يحصل تحقيق بعد

ـ اذن فما سبب حضورك الي الآن

ـ ظننت انك القاتلة فاتيت لاتحقق الامر منك حتى اسعى في خلاصك

ـ نحمد الله التي اتت من غيرنا ولم تأت منا ولكن هل جرحه مخطر

ـ من يعلم ولكن طبيبه سمعان يقول ان الاصابة ليست مخطرة وانما يخشى على رضا من وقوعه في دور شديد من الحمى فعسي ايتها العزيزة أن تأتيه حمى خبيثة

وتطير بروحه الى الجحيم فتكفينا شر السعي في هلاكه

ـ هل تظن انه يسلم في هذه المرة . أترى كيف الاقدار تعاكسنا . فان سلم في هذه المرة لا تعود لنا قائمة تقوم

ـ أرى انه سيسلم في هذه المرة أيضا اذا لم نحسن التدبير

ـ ابد لنا رأيك

أريد ان ادخل عليه غداً بقصد الاستعلام عن حالته فلا بد انه اذ رآني يتكدر من دخولي الحرم بعد ان امر بطردي ويصعد الدم الى رأسه فينفتح جرحه وينسكب منه دمه

او ربما يقع في دور حمى شديدة فتشتد عليه الحالة فيعجز طبيبه عن مداواته وتطير روحه الى النار وبئس القرار

آه ما أسعد الساعة التي يبلغني فيها وفاته فلا تتوانى أيها السيد عن التدبير على هلاكه وتأكد في عملك هذا انك تكون قد انقذتنا من ظلمه وجوره

ـ سأسعى في هلاكه ما حييت فان لم يكن بهذه الطريقة فبغيرها على شرط ان تساعديني على موته وتلبين

اي طلب مني

ـ وماهي الطريقة الاخرى لهلاكه.اخبرني رعاك الله فلو احتجت الى فصد دمي لما تأخرت

ـ الطريقة الاخرى لهلاكه هينة سهلة بسيطة جداً ولا توقع الشبهة على أحد

ـ وماهي أيها السيد وماهي

ـ لايزال معي بعض السم

ـ أحقا

ـ نعم نعم ايتها العزيزة فخذيه وابقيه عندك

ـ وماذا تريد ان افعل فيه

ـ تنتظرين حتى الغد فاذا لم أتمكن من الدخول على رضا لتنفيذ اغراضنا فتذهبين الى غرفته بعد ان تتأكدي خلوها وتدخلينها فتجدين زجاجات العلاجات الطبية « في قراب » او صندوق فتضعين السم في احدى الزجاجات وتخرجين

ـ وبعد ذلك أيها السيد

ـ وبعد ذلك موته العاجل فانه لما يستقي الدواء يسري

السم في جسمه فيموت » الى حيث ألقت رحلها ام قشعم «

ـ ولكن الخوف من طبيبه سمعان فانت اعلم بذكائه ومهارته فلربما اكتشف السم فلا يلقون بعد شفاء رضا التهمة الا علينا

ـ واني لسمعان ان يعلم ان داخل الزجاجات سم زعاف قبل تحليل الدواء فانه يسقيه الدواء باطمئنان لعلمه ان لا احد يجسر على عمل مثل هذا فيعقب ذلك موت رضا

ـ صدقت صدقت لا أظن انه يفطن الى وجود سم في الدواء فيموت رضا ولن يعرف القاتل

الفصل الرابع والعشرون

طرد احمد افندي ثانيا من الحرم

بعد ان تم الاتفاق بين الشخصين قصد احمد افندي غرفة سيدي رضا وقد عزم على اتمام مقاصده

وكنت انا حينذاك جالسا مع بخيت اغا على باب الغرفة وكنت لا اعلم بان سيدي الوزير سمح لاحمد افندي بدخول الحرم فلما رأيته آتيا نحو الغرفة وقفت

في وجهه وقلت له

كيف تدخل الحرم وقد طردك سيدي رضا منه هذا الصباح

اجاب ـ اخي فائق باشا سمح لى بالدخول

فلم اصدقه وقلت له

سر امامي حتى اسمع امر الوزير باذني

فاجابني بنوع التهديد

هيا وسترى ماذا افعل بك بعد ذلك

فلم احفل بتهديده بل سرت وراءه حتي خرجنا من الحرم ودخلنا الغرفة حيث كان الوزير والمشير والوالى ووجهاء المدينة مجتمعين

فالتفت الى أخيه وقال

اترى كيف اخرجنى فيروز من الحرم وقال لى انه ليس تحت امركم بل تحت أوامر رضا وانه اذا رآني مرة اخرى داخل الحرم يقتلني

فقال سيدى ــ أأكيد قال لك ذلك

اجاب يوجد مايدعونى الى الكذب

فطلبني سيدي الوزير اليه وكنت واقفا بعيداً عن الباب قليلا

فدخلت الغرفة فقال لي

لماذا اخرجت احمد افندي من الحرم وقد اصدرت امرى بابقائه فيه كما كان

اجبته وانا اتميز غيظا

لو علمت ذلك لما بقيت حتى الآن بل كنت استقلت من خدمتك

قال ـ وما السبب يافيروز

أجبت ـ لا سبب غير اني أرجو اقالتي من خدمتك

قال ـ اخرج الآن واتركني يافيروز

اجبت ـ كلا لا أخرج حتى آخذ امر رفتي

قال ـ لا أجيبك الى طلبك مادام لا سبب يؤول الي استقالتك

اجبت ـ ان لم تقيلني فأني اخرج بدون امرك

فتكدر من الحاحي وقال

ماهذه الجسارة التي لم اكن اعهدها فيك . حقا

ان المعروف يضيع مع غير اهله أهذه هي مكافأتي على معاملتي لك الحسنه الم تعلم انك عبد رقيق ولا تزال تحت اوامري

أجبت — مادمت رجعت عن عتـقي فارجوك تسليمي الى الدلال كي يبيعني

ولما رأي المشير ان الجدال اشتد بيننا خشي حدوث مالا تحمد عقباه فقام ودخل بيننا لانه يعلم محبة سيدى الوزير لي وقال يخاطبني

كنت اعهد فيك يافيروز الحكمة والتعقل والرزانة فلماذا تتجاسر بمثل هذا الكلام علي سيدك وانت اعلم بمحبته لك وما الذي أوجبك الى الاستقالة

اجبت – وقوع الشقاق فى الدائرة الذي سيؤدي الى قتل نفس أو نفسين اوجبني الى الاستقالة

وأري سيدي الوزير عوضاً عن ان يمنع حدوث ذلك فانه يزيد الطين بلة بادخاله احمد افندى الحرم

فانتبه سيدي الوزير الى كلامي وقال

وما هو هذا الشقاق وهل وجود احمد أفندي في الحرم يوقع النفور في السراي بين الخدم واسيادها

أجبت — لو لم يكن هو الباعث لذلك لما ايقظني سيدي رضا في صباح هذا اليوم وامرني بطرد احمد افندي من الحرم وبعدم السماح بدخوله مرة أخري وقد ظن احمد افندي في باديء الامر انك الذي امرت بطرده فاصفر وجهه حتى شابه سكان القبور ولكن اذ علم ان الآمر بطرده هو سيدي رضا عادت اليه سكينته وخرج من الحرم دون ان ينبس ببنت شفه

فقبوله الطرد وسكوته عن اخباركم يدلان على ان في الامر دسيسة والا لما رضي باهانة رضا له بل كان اتي اليكم واعلمكم بما حصل

وهذا يدل على وقوع الشقاق بين احمد افندي ورضا وان الاخير غير راض عن وجود عمه داخل الحرم

ولذا اريد ان لا يدخل الحرم حتى يشفى سيدي رضا وبعد ذلك هو وشأنه معه

قال ـ لك ذلك

ثم التفت الى احمد افندى وقال

لاتدخل الحرم حتي يشفى رضا واعلم منه سبب طردك من الحرم

فاصفر وجه احمد افندي ولكنه قبل مضطراً

* * *

وقضي الوزراء ووجهاء المدينة في السراى طول لياتهم حتى اشرق الصباح فطلب المشير من سيدى الوزير ان يسأل الطبيب عن حالة رضا

فدعا سيدي الوزير سمعان افندى وقال له

كيف حال رضا الآن

اجاب ـ اتاه دور الحمى ولكنه كان خفيفا جدا وما لبث ان بارحه فنام مرتاحا فالتفت المشير الى الطبيب وقال

اين اصيب رضا

اجاب ـ اصيب في كتفه الايسر فمرت الرصاصة بجانب العظم وخرجت من الجهة الاخرى ولكن مادامت

الحمى خفيفة فلا خطر على حياته

قال — هل قال شيئا حينما أتته الحمى

اجاب ـ كان يفوه بكلمات لا معني لها

قال ـ ألم تسأله شيئا

اجاب ـ كلا لان ذلك يؤدى به الى التلف ونحن الآن انما نسعي في شفائه لا في هلاكه

فاستأذن الزائرون وهم يسألون لرضا الشفاء وخرجوا

أما سيدي الوزير فانه دخل الى غرفة ولده رضا فوجد الهانم زوجته جالسة بجانب سرير رضا تذرف دموع الحزن

فامسكها سيدى من يدها وخرج بها الى احدي الغرف وأقفل بابها وقال

اين كنت حينما اصيب ولدنا بالرصاص

اجابت ـ كنت معه في غرفته

قال ـ وكيف حدث ذلك ومن الذي اطلق عليه الرصاص

أجابت ـ عيرني سمعك فاحدثك كيف كان ذلك



قال ـ كلي آذان صاغية

فاحذرته الهانم تحدثه عما حصل حتى قالت

ولم اكن اصدق كلامه اذ قال لي « ان في افشاء هذا السر خطر على حياتي»

وكنت اظنه من باب الهزل ولكنه أقرن قوله بالفعل فاطلق على نفسه الرصاص ووقع على الارض يختبط بدمه فكاد قلبي أن يتمزق ووقعت بجانبه غائبة عن الصواب

ثم شهقت الهانم بالبكاء فبكي سيدى الوزير أيضا وقال بعد سكوت دام برهة

ألم يبح لك بالسر

أجابت وهي تشرق بدموعها

كلا ولا كلمة واحده . ياليتني أعرف هـذا السر لافرج عنه همومه وازيل عنه كدره

قال سيدى الوزير وهو يكفكف دموعه

ماهو هذا السر الذي جعله اليف الاحزان وددت لو يطلعني عليه . كنت أظنه يعشق نازك ويخجل ان

يبوح بحبه لها وان تكتمه أثر فيه فجلب اليه الكدر ولكن ان في المسألة سر . فلنصبر حتى يعود الى الصحة فلربما نتمكن من معرفة السر

الفصل الخامس والعشرون

اشتداد المرض على رضا . وقوع عين الحياة في المرض

بعد ان خرج المشير والوالي ووجهاء المدينة من السراي رجعت انا الى الحرم وجلست على باب غرفة سيدى رضا بجانب بخيت اغا واخذنا في الحديث فسألني هذا عما تم باحمد افندي

فاخبرته بما حصل بيني وبين الوزير وما نويته من الاستقالة واجابة الوزير الى طلبي ثم اعلمته كيف ان الوالى قبض على ديلاور وارسله مع اثنين من الشرطة بامر سيدي الوزير ليحاكم على ضربه لاحمد افندى

فتعجب بخيت اغا وقال

أحقا ما تقول يا صالح . انى لا اصدق ان سيدى الوزير يأمر بسجن رجل أمين غيور على صالحه ويدافع عنه وعن

ولده حتى الموت

قلت ــ هذا ماحدث يابخيت ووالله لو سمح الوزير لاحمد افندي دخول الحرم لكنت تركت خدمته

وبينما انا وبخيت اغا في الحديث نادانى سيدى رضا وكان مستيقظا وسمع مادار بيني وبين بخيت

فدخلت عليه فسألني اذا كان حقا قبض على ديلاوز وارسل للسجن

قلت ــ الامر اكيد ياسيدى

فتغيرت ملامحه وقام من سريره وقد نسي انه لا يزال جريحا وان يسمح له بالخروج أو بالتحرك الاعند تمام شفائه لمحبته العظيمة الى حارسه وخادمه الامين ديلاور وأراد الخروج فانزاحت رباطات الجرح عن مكانها وانفتح الجرح واخذ الدم يتدفق منه بغزارة

فامسكت به ومنعته عن الخروج واخذت استغيث واصرخ حتى اتاني الوزير يركض ووراءه سيدتي الهانم تهرول نحو الغرفة

فلما رأى سيدي الوزير ولده بهذه الحالة تقدم منه وقال

ماالذي ازعجك ياولدى رضا

واخذت سيدتى الهانم في البكاء وامسكت رضا وقالت له

اجلس ياولدى على السرير فلا زلت مريضا

فاجابها بصوت اجش

اين ديلاور اين حارسي الامين

فشعر سيدى لاول وهلة انه اخطأ في اطاعته كلام احمدافندى وسجنه لديلاور وخشي ان يصاب رضا بضرر لاجل تابعه فقال له منكراً أمر القبض عليه

ديلاور هنا ياولدي

قال ـ كلا بل سجنته

أجابه ـ لا ياولدي لم يسجن بل هو في السراى

قال اذا كان حقا فأت به الي لاراه

ونحن كذلك دخل الطبيب واذ رأي حالة رضا تكدر وامر بحمله الى سريره ومما نزف من دمه لم يعد له طاقة على المقاومة فحملته الى سريره وهو يقول

أين ديلاور احضروا ديلاور

فامرني سيدى الوزير بان أسرع الى الضابطة وآتي بديلاور

فاسرعت ولو كان لى جناحان لطرت لاني كنت أحب ديلاور لشجاعته النادرة واخلاصه لرضا

فلما وصلت الضابطة دخلت على سرور اغا مديرها وبلغته امر سيدي الوزير فأتي بديلاور وسلمني اياه فخرجنا قاصدين السراي

وفي اثناء سيرنا حدثت ديلاور بما حصل ثم نبهت عليه بان لا يخبر رضا بانه كان مسجونا

ولما وصلنا السراي دخلت الحرم قبل ديلاور ونبهت على النساء بالاختفاء ثم خرجت وادخلت ديلاور ووضعت الهانم قناعا على وجهها فدخل ديلاور الغرفة وقبل يد سيدي رضا وقال

ها انا ياسيدى

فافتر ثغر سيدى رضا عن ابتسامة وقال

لا تتكدر ياديلاور مما حصل فانت لدى مكرم

قال ديلاور وهو يريد الانكار

« لم يحصل ياسيدى الا الخير »

قال ـ آه يامكار تريد ان تنكر علي لا بأس ولكني علمت كل شيء فقد سجنت لانك كنت تدافع عني

أجاب ـ لم أسجن ياسيدى وكذب من اخبرك بذلك

قال ـ لا يهمني الانكار

ثم التفت الى والده وقال

سيدى « ولم يقل والدى لانه لازال واضع في فكره انه لقيط » أرجوك بمدوفاتي أن تحسن الى خدمتي الامناء وتعاملهم بالرفق

قال ذلك وهو لا يريد الحياة لانه فضل الموت عن ان يعيش كما كان يظن ملوثا بالعار لقيطا ابن سفاح

ثم مالبث ان غاب عن الوجود فاخذ الحاضرون في البكاء فامرهم الطبيب بالخروج وقال

وجودكم هنا يزيد الطين بلة لان المريض يحتاج الى الراحة لا للصراخ والبكاء

فخرجوا من الغرفة فوجد سيدي الوزير نازك آتية نحوها تريد دخولها اترى رضا

وكانت في حالة يرثى لها . شعرها الجميل بدون نظام وثيابها غير منتظمه وعيناها مقرحتان من البكاء

فامسكها سيدى الوزير من يدها وجذبها اليه بلطف وقال لها

تعالي معي يا بنيتي واتركي رضا يرتاح

* * *

جلس ديلاوز في السلاملك الخارجي على الارض يبكي كمن اصيب بمس من الجنون . والحق يقال انه كان يحب سيدى رضا محبة تفوق محبة سيدي الوزير وسيدتي الهانم له

فكان اذا كلمه أحد لا يجيبه كأنه لا يسمع حديثه واذا أتوا له بالطعام لا يأكل منه حتى أوشك على الهلاك

فالتزمت ان آتى اليه وانبهه الى تناول الطعام فقال لي

لماذا أريد الحياة اذا كان سيدى رضا لا يريدها ألم تسمع قوله لوالده « ارجوك بعد وفاتي ان تحسن الى خدمي الامناء .. »

فقلت له ـ دعك من كلامه فقد قال ذلك دون وعي

وبعد الجهد تناول ديلاور قليلاً من الطعام في ذلك اليوم

* * *

بينما انا في السراي بعد ظهر ذلك اليوم أتاني جوهر أغا باش اغا حرم المشير وقال لي

كيف حال سيدك رضا يافيروز

فاستفهمت من الطبيب فاخبرني انه في خطر فاعلمت جوهر اغا بذلك فسار مسرعا الى منزل المشير واعلم زوجته وابنته

فاستولى على عين الحياه الكدر والحزن وامتنعت عن الطعام حزنا على سيدي رضا ولم يمض عليها ذلك اليوم حتى باتت طريحة الفراش

ومما اصاب عين الحياه اتت زوجة المشير ثاني يوم سراي سيدي الوزير وسألت عن رضا

فقيل لها انه في اشد المرض

فرجعت الى منزلها حائرة لاتعلم ماذاتقول لابنتها اذاسألتها

ولما كان اليوم الثالث تحسنت صحة سيدي رضا قليلا فاملنا شفاؤه وسر الوزير وكل من في السراي لهذا الخبر السار

وانتعش فؤاد ديلاور واكل كثيراً في ذلك اليوم واما انا فرأيت من الواجب علي ان أبشر زوجة المشير وابنتها عين الحياه

فسرت ركضاً وانا اضحك في الطريق والناس من حولي تعجب مما طرأ علي من التغيير ظانين اني اعتوهت واما انا فلم اكن اعي لما افعله وانا سائر من تحريك يدي ومحادثتي نفسي بل سرت حتى وصلت منزل المشير ودخلت على الهانم وقلت لها

بشراك ياسيدتي

فقالت بلهفة وهي تبتسم

هل شفي رضا

اجبت – على وشك الشفاء

قالت – ياحسن البشرى ادخل يافيروزو بشر عين الحياه

فدخلت غرفة عين الحياة فوجدتها طريحة الفراش

واندهشت لما طرأ عليها من التغيير

فوجنتاها اللتان كانتا تضارعان ورد الربيع احمراراً

قد ذبلتا وعيناها السوداويتان الواسعتان الساحرتان قد

احمرتا من كثرة البكاء وتقرحت جفناها وانحل جسمها

فتقدمت منها وقد ظننتها في حالة الغيبوبة وقلت

سيدتي سيدتي

فانتبهت الى وجودي بقربها ولم تكن تشعر بدخولي

وقالت والدموع تتناثر من اماقي عينيها

هذا انت يا فيروز فكيف حال رضا

فنظرت اليها وانا متأثر مما طرأ عليها من التغيير

وقلت لها

بشراك ياسيدتي

فنظرت الي ونور الامل يلوح على محياها وهي

تبتسم وقالت

قل قل تكلم هل شفي رضا

اجبت ـ انه على وشك الشفاء

«سبحان الله» فان الخبر السار يذهب الاحزان بل ويرد القوة فما سمعت عين الحياة كلامي حتى رفعت رأسها وتلون وجهها ودققت في النظر لتتأكد صدق قولي وقالت

أحقيق ماتقول يافيروز

قلت ـ هو كذلك يامولاتي

فابرقت اسرتها ولمعت عيناها سروراً وقالت

أممكن الدخول عليه

قلت ـ كلا يامولاتى لان الطبيب لا يسمح لاحد بذلك

فتغير لونها وقالت

اذن فحياته في خطر وانت اتيت لتموه علي

فاقسمت اليها باني أتيت بالخبر الحقيقي

فالتفتت الى والدتها وقالت

ارجوك ياوالدتي العزيزة ان تقصدي منزل فائق باشا وتستعلمين جيداً عن رضا

فاجابتها والدتها

ولكن ربما يابنية لا تصدقيني اذا ذهبت بمفردي

فهيا معي نذهب سوية ونعلم الخبر الاكيد

فالتفت عين الحياة الي وقالت

أممكن ان أراه

اجبت ــ لا أعلم فلربما لا يسمح لك الطبيب بذلك

قالت ــ لا بأس فسأطمئن عنه وهذا جل قصدي

ثم رفعت عينيها الجميلتين الفاتنتين نحو السماء وطلبت

من الله ان يحفظ لها حبيبها ويشفيه ويقيه من كل مكروه

الفصل السادس والعشرون

«زيارة عين الحياة الى رضا»

رجعت الى السراي بعد ان تأكدت ان الهانم

وابنتها سيزوران رضا ودخلت الحرم وتقدمت من بخيت

اغا فرأيته يكاد يرقص طربا فقلت

اراك طروباً

قال ــ ولِمَ لا يانيروز وسيدي رضا آخذ في التقدم

الى الصحة فقد فارقته الحمى تماما وعاد اليه وعيه وطلب

والدته فدخلت عليه فأخذ يحادثها برهة وخرجت ووجهها يطفح سروراً

وقد طلب مني الطبيب فنجانا من اللبن فاتيته به وأدخلته الى سيدي رضا بنفسي فشربه وسألني عنك وعن ديلاور وقال لي

متى اتي فيروز أدخله علي

فانشرح صدري وقلت زال الخطر والحمد لله على ذلك فادخل يابخيت واستأذن لي من الطبيب للدخول

ففعل واذن الطبيب فدخلت وقبلت يد سيدي رضا فقال لي

اجلس يافيروز بجانبي

فجلست ـ فالتفت الى طبيبه وقال

هل تسمح لي ياطبيبي العزيز بان احادث فيروز

ففهم سمعان أفندى مايعنيه وقال

لا بأس وها أنا اخلى لكما الغرفة ولكن على شرط ان لاتتحدثا بما يجلب اليك الكدر

قال ـ كلا

فخرج الطبيب وبقيت أنا وسيدي رضا في الغرفة بمفردنا

فالتفت الي وقال

هل قابلت عين الحياة يافيروز وهل علمت بما اصابني

قلت — نعم وعلمت ذلك

قال ـ كيف كانت حالتها

قلت ـ لاتسلني ياسيدي عما ألم بها لما علمت بما أصابك

قال ـ اسرع اسرع يافيروز واخبرني

قلت ـ لم تنشف لها دمعة منذ علمت بما اصابك ومرضت مرضا شديدا كاد يؤدي بها الى التلف

فسلت النوم والطعام واستسلمت للاكدار والاحزان حتي هزل جسمها وكاد يندثر رسمها

فلما بلغني اليوم تقدمك في الصحة اسرعت الى عين الحياة لابشرها ولا ذهب عنها الحزن

ومما ألم بها من الحزن والكدر لم تشعر بدخولي
حتى نبهتها الى ذلك فبشرتها بانك تتقدم في الصحة
فما اكثر ماتحبك فانها ماكادت تسمع هذا الخبر
السار حتى تحركت كأن قوة عظيمة أتتها ورفعت رأسها
وتبدل اصفرار وجنتيها اللتين كانتا قد ذبلتا من الحزن
بالاحمرار وهتفت والسرور ملء فؤادها

احقا ماتقول يافيروز

فاقسمت لهما حتى صدقاني وقد عزما على أن يأتيا
اليك ليزوراك ولكني أخشي ان الطبيب يمنعهما من الدخول

فكاد سيدي رضا ان يطير فرحا وقال

احقا ماتقول من ان عين الحياة آتية الينا

قلت - نعم ياسيدي

قال - وأراها أيضا

قلت - نعم اذا اردت

فتهلل وجهه فرحا وعادت اليه العافية واستند على
سريره وجلس كانه صحيح الجسم «لاشك لان الحبيبة
كهربة» وقال

والمس اناملها

قلت نعم نعم ياسيدي لاتلبث ان تراها

قال ـ هذا غاية مناى فارجوك متي أتيا ان تخبر والدة عين الحياة بان تطلب من والدتي الدخول علي

ونحن في الحديث دخل الطبيب فانقطعنا عن الكلام

ولحظ الطبيب انشراح سيدي رضا فتقدم منه وجس نبضه وقال

يااللعجب لقد تغلبت على المرض

ولما خرجت تبعني الطبيب وسألني عما دار بيننا فانكرت

ثم خرجت من الحرم وفؤادى يرقص طربا اذ رأيت علائم الصحة والعافية بادية على وجه سيدى رضا

فوجدت احمد افندى وابنه أمين افندى جالسين في الفناء على مقعدين يتحدثان

وكى اكدرهما تقدمت من أحد الخدم وقلت له بشراك ياحمدان

قال — بشرى خير يافيروز

قلت — لقد زال الخطر عن سيدي رضا وهو آخذ في التقدم الى الصحة وطبيبه يقول انه بعد يومين يتمكن سيدي من الخروج

فاخذ حمدان يقفز ويرقص ويدور حول نفسه ويلعب « كالبهلوان » سروراً وفعل فعله الخدم

فشبهت فناء السراى في ذلك الوقت كمرسح الملاعب

وانتشر الخبر في السراي فكان كيوم عيد عندنا

أما احمد افندى وابنه فقد اكمد لونهما وتكدرا لهذا الخبر الذي قد سرنا حتى جعلنا نهمل واجباتنا

*
* *

واكمل سروري دخول زوجة المشير وابنتها عين الحياة فهروات الى سيدتي الهانم واعلمتها بقدومهما

فاسرعت واستقبلتها بما يليق بهما من الاكرام

ويالعجبي فان عين الحياة كانت بعكس الحالة التي رأيتها فيها وهى في فراشها

« معلوم معلوم » وان يكن طرأ عليها بعض التغيير لتأثير المرض ولكنها مع ذلك كانت كبدر التم

وعانقت سيدتي الهانم زوجة المشير وطبعت على وجنة عين الحياة قبلة الوداد والحب

فسألت والدة عين الحياة سيدتي الهانم عن سيدي رضا فاجابتها

لقد زال عنه كل خطر

فاشرق وجه سيدتي عين الحياة لهذا الخبر الذي رقص له قلبها طربا وودت لو تقدر على الكلام لجالت ماشاءت في الحديث عن حبيبها ولكن يمنعها الحياء وما اشتهرت به فتيات آل عثمان من الادب والطهارة والعفاف

ولحظت سيدتي الهانم سرورها فقالت لها وهي تعجب من حسنها

ماأجملك يابنية أراك مسرورة بخلاص رضا

أجابت بخجل وعيناها الى الارض

كيف لاأسر ياسيدتي وانت اعلم بما بيننا من الوداد والصداقة فحزنكم حزني وسروركم سروري

وأما أنا فاغتنمت فرصة محادثة سيدتي الهانم مع عين الحياة وتقدمت من زوجة المشير واخبرتها بما قاله لي

سيدي رضا وابتعدت حتى لا تراني والدته

* * *

تركت سيدتي مع زوجة المشير وابنتها يقصدن غرفة الجلوس وقصدت غرفة سيدي رضا لاخبره بقدوم زوجة المشير وحبيبته عين الحياة

ولكني ماوصلت حتى رأيت بخيت أغا غير موجود على الباب وصديقة اللعينة جالسة القرفصاء وراء المنضدة التي بغرفة سيدى رضا

فتقدمت بحذر وكانت لم تشعر بدخولي فرأيت في احدى يديها زجاجة علاج وباليد الاخرى ورقة فيها مسحوق أبيض تفرغه في الزجاجة

فهجمت عليها وقبضت على يدها وقلت لها

ماذا تفعلي باخائنة

فاستيقظ سيدي على صراخي وسمع ماقلته وتطلع الى اللعينة وقال ماهذا الذي بيدك

فلم تجب بل اخذت ترمقه بعين يتطاير منها الشرر

فسألني سيدي عن معني ذلك

فاخبرته كيف اني رأيتها تسكب المسحوق داخل الزجاجة فالتفت اليها وقال بعد ان أمرني بترك يدها

ماذا كنت تفعلين وماهذا الذي كنت تضعينه في زجاجة العلاج

ولحقدها عليه صرخت قائلة

كنت أضع لك السم فيها وما دام هـذا الوغد اكتشف أمري فصار أمر هلاكي مقرر ولكني لا أموت حتى اقتلك فاكون قد انتقمت لنفسي

ثم هجمت كلبوة تريد خنقه ولكني أسرعت اليها قبل أن تصله وأمسكتها من شعرها وقبضت على عنقها باحدى يدي كي اقضي عليها

ولكن منعني عن ذلك سيدى رضا قائلا

لا تفعل يافيروز

والتفت الى الشقية وقال

اعلمي ياصديقة انى اريد الموت اكثر مما تريدينه لي لانى كرهت الحياة المملوءة شقاء وتعاسة

ولكن المناية لاتنيلني ماابغي . اريد الموت فيهرب

مني فالحياة والموت بيد الله جل جلاله

فكم تدبرين على هلاكي والله ينقذني فانصحك ان تتركي الغرور والشروز والا فلا تلومين الا نفسك

وها انا أسامحك ولكن يجب علي الحذر منك ولذا آمر فيروز أغا بأن يسجنك في غرفتك وتكون سجانتك احدي الجواري السود حتى أشفي

ثم أمرني بحبسها

فلبيت أمره وأنا احرق الارم غيظا عليها وجررتها من شعرها حتى أوصلتها الى غرفتها

وكانت احدى الجوارى السود تكره صديقة كثيراً لأن هذه لما كانت رئيسة الجواري كانت تعاملها بقساوة وتضربها

فعينت الجارية التى تكرهها سجانة لها وافهمتها ما يجب عليها فعله وسلمتها مفتاح الغرفة

فجلست الجارية على باب غرفتها لحراستها اما أنا فعدت الى سيدي ولمته على عدم معاقبته صديقة واخبرته بما عملت

ثم اعلمته بأن عين الحياة ووالدتها أتيا لزيارته وهما مع والدته في غرفة الجلوس

فانشرح صدره وقال

لاتخبر احداً بما فعلته صديقة

ونحن في الحديث دخلت توحيده وقبلت يد سيدي رضا وقالت

والدتك ارسلتني كي اسأل الطبيب اذا كان يسمح لزوجة المشير وابنتها بزيارتك

فاراد سيدي رضا ان يجاوبها ولكني منعته وامرت بخيت اغا بان يستدعي الطبيب

فلبى الامر واستدعى سمعان افندي فعرضت عليه طلب سيدتي الهانم فقال

لامانع من حضورها اذا رغب رضا بك

فالتفت سيدي رضا الى توحيده وقال لها

اذهبي واخبريها بان لامانع من حضورها

* * *

لبث سيدي برهة كانت كعام لديه في انتظار حبيبته

ولكن مالبث ان فتح الباب وظهرت منه سيدتي الهانم وفي أثرها زوجة المشير وعين الحياة

فتقدمت والدته منه وقالت مبتسمة

لقد اتيت لك بشوقدار هانم وابنتها عين الحياة فهل تقبل زيارتهما

اجاب ووجهه يطفح سروراً

هذه منة عظيمة منهما ولكن هل استحق التفاتهما.

ان مجيئها الي يجعل لها فضلا عظيما على ويجعلني مديونا اليها مدي حياتي

فتقدمت زوجة المشير منه وقالت

واي منة ياولدي وأنت عندي اعز من عين الحياة فوجب ان ازورك كي اطمئن عليك

واراد سيدي رضا النهوض فمدت زوجة المشير يدها ووضعتها على كتفه بلطف وقالت

لاتزعج نفسك لاجلنا بل كن مرتاحا حتى لايحدث مايضر بجرحك

اما سيدي فالثم يدها شاكرا لطفها

وتقـدمت عين الحياة وقد صبغ الحياء وجنتيها حتي صارت فتنة لمن يراها وقدمت له يدها البيضاء كي تسلم عليه

فقبض على يدها وجـذبها بلطف نحو فمه وطبع عليها قبلة اهتزت لها الفتاة اهتزازا شديد كأن سيالا كهربائيا سري في جسمها ثم رمت بنظرها الي الارض وسحبت يدها وتراجعت الى الوراء حياء

فانتبه سيدي رضا الى مافعله والى وجود والدته فقال وهو يكاد يذوب خجلا

ارجوك ياسيدتي الهانم ان تغضى النظر فقد قصر لساني عن تعبير شكري لعزيزتي حين الحياة على زيارتها لي فعبرت عنه بتلك القبلة

فضحكت زوجة المشير وهى ترمقه بعين الرضى « طبعا » لانها عالمة بحبهما وقالت

لا بأس ياولدي فعين الحياة كشقيقة لك ليس الا

الفصل السابع والعشرون

المناجاة بالالحاظ ـ قبلة فيها الشفاء ـ الاتفاق على هلاك رضا ثانيا

وقدمت سيدتي الهانم كرسيين الى زوجة المشير وعين الحياة كي يجلسا واتت بكرسي لنفسها فجلست عليه وجعلن يتحادثن احاديثا مختلفة

وكان سيدي رضا وهو سامع الى حديثهن لا يميل نظره عن عين الحياة وكانت عين الحياة في بعض الاحيان تسارق النظر اليه فيتناجيان بالالحاظ ولا اعلم اذا كانت سيدتي الهانم لحظت ذلك أم لا

وبعد مضي ساعة قضينها بالحديث دارت في اثنائه المرطبات طلبت زوجة المشير الخروج فخرجت سيدتي الهانم كي تنبه على توحيده لتأتي بالازار لها ولابنتها

ولا اعلم اذا كانت سيدتي لحظت ما بين سيدي رضا وعين الحياة من الحب فاخلت لهما الغرفة قصداً حتى يبوحا بما يتكتمان به حين وجودها ام خرجت للقصد السابق

واغتنمت عين الحياة فرصة خروج الهانم وتقدمت

من سيدي رضا وطبعت على جبينه قبلة حارة ردت اليه العافية

وقالت له والدتها

لو تعلم ياعزيزي ماأصاب عين الحياة حينما بلغها الخبر بانك طريح الفراش . فقد واصلت ليلها بنهارها في البكاء والنحيب حتى نحل جسمها وصار يندثر رسمها واسأل فيروز يخبرك بالخبر

ولكنا وجدناك والحمد لله بخير فنسأله تعالى ان يشفيك ويعافيك ولا تنس ايضا عين الحياة من بالك

وتكهرب سيدي رضا من تلك القبلة الحارة التي طبعتها على جبينه عين الحياة فلبث مبهوتا من جمالها ينظر اليها كلالك سماوي دون ان ينبث ببنت شفة واما عين الحياة ووالدتها فتركاه في حيرته وخرجا

وبعد خروجهما ببرهة دخل الطبيب ونظر الي سيدي رضا نظرة الفاحص وقال

« ماشاء الله ياسيدي » اراك في تقدم سريع الى الصحة واؤكد لك انه لا يمضي بضعة ايام حتى تنال الشفاء



وكأن تلك القبلة هي البلسم الشافي فلم يمض اسبوع حتى تمكن من الخروج

فرآه احمد افندي وكان لا يريد له الحياة فتكدر وعلم ان تدبير صديقة على هلاك سيدي رضا فسد

وزاد غيظه اذ علم بعد ذلك بأن صديقة سجنت بعد أن اكتشف امرها فاحتار في امره

اما سيدي فلما لمح عمه تقدم منه وصافحه ببشاشة ناسيا اساآته له شأن كل شريف النفس طاهر القلب

فاظهر له عمه الحب والحنو وابتسم له ابتسامة طيها سم واظهر السرور بشفائه وهناه بسلامته وأما في باطنه فانه اضمر له الشر والهلاك شأن اللئيم الشرير فانك كلما احببته واكرمته كلما قابلك بعكس معاملتك له وأضمر لك الشر

اظهر احمد افندي الصلاح والتقوي والندامة عما فعله لهلاك رضا حتى ظن كل من الدائرة ان القلوب صفت ولم يعلموا ما كان دبره في خلال عشرة ايام

مضت بعد شفاء سيدي رضا من الملاك له

فبعد عشرة ايام مضت لشفاء سيدي في مساء ذلك اليوم والبواب جالس على باب السراي تقدم منه رجل ملثم لا يري منه غير عينيه وسلمه تحريراً وطلب منه ان يسلمه الى سيدي الوزير دون امهال

فنادي البواب احد الخدام وسلمه التحرير فاوصله الخادم الى سيدي ففضه وقرأه وكان به ما يأتي

« سيدي الوزير فائق باشا الافخم »

انا عبدكم الحافظ لمعروفكم اخبركم أني اليوم وانا جالس في بستان كيوان تحت شجرة استظل بظلها لمحت رجلا ملثما لم ار منه غير عينيه واقفا على قمة تلة وبيده فرسه وسمعته ينادي مراراً بصوت عال

« ياعبد السلام . ياعبد السلام »

فاجابه صوت كالرعد خارج من واد

« من هذا الذي يناديني »

فاجابه الملثم « انا . انا »

ولم يمض الا قليل حتى ظهر الرجل المدعو عبد

السلام وبيده قرابينة اصبعه على زنادها وقال مخاطباً الملثم

« ماذا تريد يارجل من عبد السلام »

وخفت لئلا ينظراني فانبطحت على الارض بين الاعشاب النامية فغطتني فلم ينظراني

والظاهر ان لهما معرفة ببعضهما فنزل الملثم واقترب من عبد السلام وحياه وسمعت الملثم يقول لعبد السلام

« اريد منك المساعدة »

ثم سكت هنيهة وعاد فقال

هل تعاونني اذا عرضت عليك امراً ذا أهمية

أجابه عبد السلام

كيف لا اذا كنت انتفع منه

قال الملثم ـ فائدتك عظيمة جداً اذا انفذت ما اريده

فلما سمع عبدالسلام بأنه من وراء ذلك ربح أمسك بيد الملثم واقتربا من الشجرة التى كنت مختبئا وراءها بين الاعشاب الطويلة العالية وجلسا

فحمدت المولى اذ لم ينظراني امامهما فجلسا فقال عبد السلام « ماهو هذا الامر الذي تريد مساعدتي عليه »

أجاب الملثم

أريد منك قتل رضا بك عبد فائق باشا

فقال عبد السلام مندهشا

فائق باشا ليس له عبد بهذا الاسم بل صاحب

هذا الاسم هو ابن فائق باشا

فقهقه الملثم وقال

هو يدعي ذلك والحقيقة انه ولد لقيط وجده الوزير

في قارعة الطريق فحن قلبه عليه وحمله الى منزله ورباه

ولما شب ووجده جميلا قربه اليه نظرا لحسنه وادعى

أمام حرمه وخدمه انه ولده

وهو يختلي به كل يوم فينال منه مأربه ولا يعلم

بذلك أحد خلافي

فقال عبدالسلام مندهشاً

أحقا ماتقول . أنا لا أصدق ذلك

قال — اقسم لك بذلك

قال — عبد السلام وماذا فعل رضا بك معك

حتى تطلب هلاكه

أجاب لي ارب بذلك

قال - ولكني لا أوافقك الا اذا أطلعتني على مأربك

فتطلع الملثم الى ماحوله كأنه يخشى ان يسمعه أحد

وأخذ يحدث عبد السلام بصوت واطٍ فلم اسمع

مادار بينهما

واخيراً قال عبد السلام

كم تدفع لي في نظير ذلك

أجاب - أعطيك ماترغب

قال - آخذ منك مئتي جنيه سلفاً

أجاب - أعطيك خمسين جنيها الآن وعند تنفيذ

القتل ادفع لك البقيه

قال - ومن يضمن لى ذلك

أجاب - ان لم ادفع لك فبامكانك قتلي

قال - قبلت بذلك فاذا تأخرت عن الدفع بعد

قتل رضا فاني أعدمك الحياة فهات الخمسين جنيها

فاخرج الملثم من جيبه كيساً وسلمه الى عبد السلام

ففتحه وعد ما فيه فكانوا خمسين جنيهاً

واتفقا اخيراً على ان عبدالسلام في مدة عشرة ايام لا يبقى على رضا

وبلغني في هذا المساء من احد رفقاء عبد السلام ان الاخير مع شركائه اتفقوا على قتل رضا بك عند ذهابه الى « المزه » (١)

ولما لكم علي من الافضال وخوفاً على حياة سيدي رضا اعلمتكم بالخبر حتى تكونوا على حذر

عبدكم المخلص

احد مزارعيكم »

واعاد سيدي الوزير تلاوة ذلك التحرير عدة مرات والتفت الى الخادم الذي اتاه به وقال

من سلمك هذا

اجاب — رجل ملثم واوصاني بان اعجل في ايصاله اليك

---

(١) هي قرية في ضواحي دمشق من املاك الوزير فائق باشا

الفصل الثامن والعشرون

عبد السلام

واستراح فيروز اغا برهة وكاظم باشا وفوزي افندى في شوق لمعرفة تتمة الحديث

وكانت الشواطيء المصرية قد ظهرت للعيان وبانت عمارات بور سعيد

وتحولت الانظار اليها

وما لبثت الباخره ان رست على الميناء المصري ونزل من اراد النزول وصعد الباخرة من اراد السفر الى الاسكندريه وبقي من فضل البقاء عن التجول في المدينه

اما اصحابنا فلم يهتموا بل قال كاظم باشا الى فيروز اغا اكمل حديثك الملذ يافيروز

ـ دعني اخبرك ايها الوزير من هو عبد السلام اولا

ـ هيا وحدثنا

ـ عبد السلام هو أحد جبابرة دمشق عبث فيها فسادا وقتل عده انفس بريئة

فتقدمت الشكايات ضده الى الوالى ومدير الضبط مسرور اغا فهم الاخير الى القبض عليه

ولكن لما وصل الى حارة سوق الغنم حيث كان ذلك الجبار يسكن بلغه انه فر الى ما بين الجبال

اجتمع عبد السلام بعشرة من الاشقياء الذين على شاكلته فرأسوه عليهم واخذوا في السلب والنهب والقتل ثم اخيراً قطعوا الطريق بين المزه ودمشق حتي صارت تلك الناحية قفراء اذ من خوف المزارعين على حياتهم فروا الى داخل دمشق

فخاف الاهالى خوفاً شديداً من سطوة الاشقياء لاسيما رئيسهم عبد السلام وانقطعوا عن المرور في تلك الطريق

فارسلت له الحكومة الجند فشتتها فكانت المائة خيال لاتقف امامه وامام رجاله اكثر من ساعة زمانية كان فيها يجول عبدالسلام ومن معه جولة الاسد الكاسر في العسكر وبايديهم السيوف الماضيات يخترقون بها صدورهم واذا كثر عليهم العدد فيعمدون الى الاسلحة

النارية فيولي الجند الى الفرار بعد أن يقتل منهم عدد ليس بالقليل

وكانت تلك الناحية التي جعلها عبد السلام ومن معه مكان سكنهم في املاك سيدي الوزير

فبارت الاراضي ويبست الاشجار لعدم وجود مزارعين يصلحونها فتكدر سيدي الوزير وتحير كيف يعمل في امر هذا الشقي

ففي أحد الايام اتاه تحرير من عبد السلام يطلب فيه منه عشرة كيلات شعير ومثلها حنطة واقتين بارود وخمسة أقات رصاص وخمسمائة غرش تكون كمرتب له من سيدى في كل شهر ويتعهد في مقابلها ان يحافظ له على عموم املاكه ومزروعاته ولا يضر باحد من مزارعيه أو خدمه

فقبل سيدى الوزير بدفع الراتب واخذ يرسل له المرتب وبعض الهدايا كملابس وخلافها

والحق يقال ان عبد السلام قام بوعده وعاد المزارعون الى اعمالهم في الزراعة وصارت خدم سيدي

الوزير تذهب وتجيء بدون معارض

فلما اتى سيدى ذاك التحرير صار بين مكذب ومصدق وكان يكلم نفسه قائلا

احقاً ان عبد السلام اتفق على هلاك ولدى رضا ولكن من هو ذاك اللئم الذي دفع له مئتي جنيه على قتل رضا .ولكن ربما الخبر كاذب. لالا اجزم بتكذيبه فلابعثن الى سرور اغا واريه التحرير

وارسل سيدي احد الخدم كي يأتي بسرور اغا وغرق هو في لجة من الافكار وبقي كذلك حتي اتي سرور

فقابله سيدي بكل اكرام وامره بالجلوس وناوله التحرير وقال

اقرأه وابدلي رأيك فيه

فلما قراءه سرور اغا قال

كيف وصلك هذا التحرير

اجاب يسلمني اياه البواب

فاستدعى سرور اغا البواب وسأله عمن سلمه التحرير

اجاب ـ سلمنى اياه رجل ملثم لم ار غير عينيه وقد اكد على تسليمه الي سيدى الوزير

وبعد برهة من السكوت قال سرور اغا

يلزمنا على كل حال اخذ التحوطات اللازمه حتي نكون على حذر فنبه علي رضا ان لا يخرج الي خارج دمشق

وسأعين احد رجالى للمحافظة عليه مع ديلاور لئلا يكون ما بالتحرير حق فيغدرونه ولو في وسط المدينة اذا كان بمفرده

فقال سيدى ـ اذا كنت ترى الامر مخطرا الى هذا الحد فيمكنا اخذ اجازة له من الحكومة ونبقية فى المنزل حتي نتحقق المسأله

قال سرور لا لزوم لذلك الآن وانما قلت ذلك من باب الحذر ونبه على ديلاور كي يأخذ حذره وسارسل لك فوزى افندي كى يسير وراءه اينما سار

قال سيدي ـ الا نخبر رضا بذلك

اجاب ـ كلا حتي لا يتكدر فيؤثر ذلك بصحته

لاسيما وانه لا يزال ضعيفا ثم استأذن وخرج

اما سيدي فانه استدعي ديلاور واخبره بالخطر المحدق بسيدي رضا ونبه عليه بالتيقظ

فاجاب بانه يفدى حياته لاجله وانه يلزم التنبيه على رضا بايعاز الطبيب حتي لايخرج الى البساتين

فاتي بسمعان واخبره بان ينبه على رضا بعدم الخروج من دمشق والتجول في ضواحيها وحدائقها لئلا ذلك يضر بصحته

وفي اليوم الثاني ارسل سرور أغا فوزى افندى بعد ان نبه عليه ليكون على حذر لئلا يغدر الاشقياء برضا بك

وخطر لسيدي الوزير ان يبعث الى عبد السلام ويسأله عن الذي اغراه على قتل ولده ولكن عدل عن ذلك لان سرور اغا لم يشر عليه

وبينما البواب في مساء ذلك اليوم كان جالسا على الباب كعادته تقدم منه رجل ملثم ورمي اليه بكتاب ثم هرول مسرعا واختفي بين الشوارع

فاراد البواب ان يلحقه ولكنه توارى عن نظره فاخذ الكتاب ودخل به الى الفناء فوجد ديلاور جالساً على احد المقاعد فناوله اياه وقال

اتاني رجل ملثم منذ برهة ورمى هذا الكتاب امامي وتواري عني فتأمل ديلاور في الكتابة واذا الكتاب باسم الوزير

فاسرع اليه وسلمه اياه ففضه الوزير وقرأه وكان به ما يأتي

« سيدي الوزير فائق باشا

عار على عبد السلام ان ينكر معروفكم ولكن وان كنتم تتفضلون علي بالمؤونة من بارود ورصاص وخلافه فانا ايضاً احرس اراضيكم فلم تمد اليها يد منذ اتفقنا على ذلك ومنذ سكنت تلك الجهة

اذن فكما انكم اصحاب الفضل علي فكذلك انا صاحب الفضل بحراستي اراضيكم

وكي تكون الامور بيننا كما كانت فنرجوكم ارسال عبدكم اللقيط رضا بك الذي تدعون انه ولدكم لا نقذ

عليه حكما صدر من رجالي بقتله

حكمنا عليه بالاعدام فلا مرد لحكمنا وانتم اعلم بذلك فلا تعملوا على النفور بيننا وسلمونا عبدكم رضا فنعود الى ما كنا عليه

واعطيكم ميعاداً اربع وعشرين ساعة فابعثوا به الى املاككم في المزة فانفذ عليه حكم الاعدام بالرصاص وتخلصوا من انتهاك حرمتكم

والا فاني اهجم على سرايكم وابدد ما فيها من الخدم والاتباع واذبح رضا في فراشه وبعدها تقع العداوة بيننا تحرير في ١١ تموز الساعه الحاديه عشر عربية مساء

كاتبه بيده

عبدالسلام»

فتكاثرت مخاوف سيدي الوزير على سيدي رضا لعلمه بفظاعة اعمال الشقي عبد السلام وانه لا يرجع عن قوله بل ينفذ ما يصمم عليه غير هياب كثرة الرجال

وبعد برهة من التفكير ارسل يستدعي سرورا اغا فلما حضر سلمه الكتاب وقال

اقرأه يا أغا وشر علي بما ترتئيه

فقرأ سرور اغا الكتاب بتمهل وقال

الامر جلل يادولة الوزير فعبد السلام جريء

ويستسهل الصعب ويعمل على جعل المستحيل ممكناً

ألست ساعياً في القبض عليه

اجابه سيدى الوزير وهو يتلون

نعم يا اغا

قال سرور مكملا

وقد فر خشية ان اقبض عليه

اجاب ـ هو كذلك

قال ـ ولكنه اذا قال كلمة فلا بد من تنفيذها

فتغير وجه سيدي الوزير وقال

اذن سيهجم على السراي

قال ـ لا اجزم بذلك ولكني اقول ان عبدالسلام

لا يقول شيئاً الا وينفذه

قال ـ وكيف العمل الى خلاصه

فابتسم سرور اغا وقال

دع هذا الامر الي وعلي التدبير فليس لهذا الشقي
الا المقاومة لانه وحش كاسر لا يهاب الموت
قال — ومن يقدر عليه وقد عجزت عنه الحكومة
أجاب — أنا اقاومه . سوف ترى ماسيحدث
بينه وبين رجالي وسأرسل عشرين رجلا تحرس السراي
هذه الليلة
قال — وأين تكون انت يا أغا
أجاب — اكون معهم فلا تهتم
قال وقد دمعت عيناه
أفعل ما تريد يا أغا فقد سلمت أمري بعد الله
اليك وحياة ولدي عليه وبين يديك
فتأثر سرور اذ رأى سيدى الوزير يبكى وقال
لا تبك ياسيدي فما دمت حيا لا يمس رضا بك
بسوء وانت أعلم بمحبتي له فاسمح لي بالانصراف الآن
كي انبه على رجال يهجمون على الموت ولا يهابون ليأتوا
ويكونوا كخفر لمنزلكم هذه الليلة
قال - أترى يا أغا ان من اللزوم اعلام رضا بذلك

اجابه ـ كلا اتركه يبات خالي البال يادولة الوزير فللكون مدبر ينتقم من الظالمين الاشرار

الفصل التاسع والعشرون

«هجوم عبد السلام على السراي. شجاعة ديلاور
فرار عبد السلام

بعد ساعة من خروج سرور اغا من المنزل سمع سيدي الوزير جلبة في فنائه فتقدم ليعلم السبب فرأى عشرين رجلا ضخمي الاجسام تلوح في وجوههم الشجاعة والبأس داخلين مدججين بالاسلحة النارية والغير ناريه يتقدمهم رجل البوليس العظيم سرور اغا

فقبلوا يد الوزير ففرقهم سرور للحراسة

فلما رأيناهم في السراى باسلحتهم ومدير الضبط معهم قمنا الى اسلحتنا نحن أيضا واستعددنا اذ وجودهم بهذه الحالة في السراى خوفنا من طاريء سيطرأ علينا

ومضت تلك الليلة في سكون تام كما سلفها وفي الصباح انسحبت رجال سرور اغا من السراى

ولما كان المساء اتي سرور اغا بثلاثين رجلا يستهينون الموت مدججين بالاسلحة وفرقهم للحراسة

فبعضهم وقف على الباب العمومي المؤدي الى الشارع والبعض في السلاملك الخارجي

واما نحن فحشونا اسلحتنا النارية استعدادا للطوارئ

وأما سرور اغا فانه جلس مع سيدى الى منتصف الليل وافترقا فقام سيدي الي الحرم وقصد سرور اغا غرفة اعدت له بعد ان نبه على احد رجاله بالحراسة حتى لا يؤخذوا على غرة

نام كل من في السراي الا ديلاور فانه رفض ان يضطجع بل صعد الى الطبقة الثانية من السراي وجلس على باب الحرم السري واضعا على ركبتيه سلاحه

لبث جالسا يقظا حتي سمع استغاثة من الحرم فنادى البواب وامره بايقاظ رجال سرور ثم دفع باب الحرم بقوته فانفتح ودخل مسرعا فرأي على السلم المؤدى الى الحديقة رجلين صاعدين وبيد كل منهما سيف مسلول

فصرخ ديلاور بصوت مرعب قائلا

من انتما الحذر من ان تتقدما

ثم وقف على السلم واعترضهما والسيف في يده مسلول

فاجاب عبد السلام بصوت عظيم

والله ان لم تخل الطريق اشطرك نصفين

فقال ديلاور والشرر يتطاير من عينيه

كذبت والله وعليك بالتجربه

فهجم الرجل الآخر الذي كان مع عبد السلام على ديلاور وهمّ بان يطعنه بسيفه ولكن ديلاور سبقه بضربة من سيفه تركته على السلم بين حي وميت

فرأى عبد السلام كوحش كاسر اذا رأى رجله ملقي على السلم يسبح بدمائه وهجم على ديلاور وضربه بسيفه ضربة شديده لو نزلت على الصخر لشقته وشطرته نصفين ولكن ديلاور مال عنها فذهبت فى الهواء وهجم عليه والسيف فى يده يقطر دماً ودار بينهما قتال تشيب لهوله الاطفال وهما يزعقان زعقات تدوى كقصف الرعد

واستغاثت النساء من هول مارأت فاستيقظت على الصراخ وخرجت من غرفتي فسمعت صوت سرور اغا يدوي كالرعد القاصف آمراً رجاله بدخول الحرم

فالتفت ذات اليمين والشمال فلم ار ديلاور اذ كان مشتغلا بالقتال مع عبد السلام

ففتحت الحرم ودخلت وهجم ورائي سرور اغا ورجاله والسيوف بايديهم تلمع

وكنا نحن في الطبقة الاولى من السراي وديلاور مع عبد السلام في الطبقة الثانية النائم بها سيدي رضا في قتال عنيف

فلما دخلنا الحرم وجدنا بقية رجال عبد السلام وكانت لم تصعد بعد لمعاونته فامر سرور اغا رجاله بالهجوم عليهم فهجمو ودار بين الفريقين قتال يذهب الارواح

فتمكن رجال سرور بعد الجهد من منع عبد السلام عن التقدم ولكنهم ابوا الرجوع لاسيما وزعيمهم داخل الحرم في قتال ديلاور

فلما رأى سرور اغا انهم لا يرجعون امر رجاله باطلاق

النار عليهم وصرخ صوتا عظيما قائلا

اقتلوهم عن آخرهم

فما كاد عبد السلام يسمع صوت سرور اغا ورأى الاسلحة الناريه في ايدي رجاله وخط الرجعة قطع عليه وانه صار بين نارين حتى تملص من ديلاور ونزل السلم ركضا وهو يدافع عن نفسه ويضرب ذات اليمين والشمال بسيفه حتى تمكن من الوصول الى رجاله فصرخ فيهم

الى الهرب يارجال

ثم فر قاصداً الحديقة وتبعه رجاله بملء السرعة كانهم الابالسة

اما ديلاور فتكدر لتملص وخلاص عبد السلام منه فنزل وراءه كأنه القضاء قاصدا الفتك به

ولكن سرور اغا قبض على ذراعه وقال

قف يا ديلاور ولا تخرج الى الحديقة لانك واحد وهم كثيروا المدد ويكفي عبد السلام فشله

فاجاب ديلاور وعيناه تلمعان كعفريت

ويكفيه ايضا اني فتكت بأحد رجاله فهلموا

واقبضوا عليه لئلا يكون لا يزال حيا فيهرب منا

فصعد سرور على السلم بسرعه يتبعه ثلاثة من رجاله فوجدوا على احدى درجاته رجلا مضرجا بدمائه يئن من الم جرح في صدره

فحملوه الى احدى الغرف في السلاملك الخارجي وطلبوا الطبيب فحضر وضمد الجرح

وكان الخبر قد وصل الى المستنطق العمومي والوالي وكان الجريح قد عاد الى وعيه فالتفت اليه المستنطق وقال

جاوب على السؤالات الآتية

ما اسمك

اجاب ـ مصطفى المغربي

قال ـ اين ولدت

اجاب ـ في مدينة فاس بالمغرب الاقصى

قال ـ كم عمرك

اجاب ـ اثنا وثلاثون عاما

قال ـ وما صناعتك

اجاب ـ لا صناعة لي الآن

قال ـ اين تقيم الآ ن

اجاب ـ في خان المغاربه

قال ـ ما الذي اتى بك الى قصر فائق باشا ولماذا

اراك مجروحا

اجاب ـ لا اجيب على هذا السؤال

قال ـ ومن مع هجمت على القصر

اجاب ـ لا اعلم

فاخذ المستنطق يتوعده ويتهدده كي يقر ولكن

عبثا حاول ذلك اذ بقي الشقي مصمما على الانكار

وتقدم الطبيب وقدم تقريراً بان الجريح لا يعيش

اكثر من ست ساعات فامر بنقله الى المستشفى

ثم طلب ديلاور والقي عليه السؤالات كما يأتي

ـ ما اسمك

ـ ديلاور الشركسي

ـ كم بلغت من العمر

ـ بلغت الثانية والاربعين من سني حياتي

ـ اين ولدت

ـ لا أعلم لانني خرجت من بلادي صغيراً

ـ ما صناعتك

ـ انا مملوك وحارث لسيدي رضا

ـ لماذا طعنت مصطفى المغربي بالسلاح

ـ طعنته كي امنعه هو ورفيقه من الوصول الى غرفة سيدي رضا

ـ كيف حدث حتى انك كنت موجوداً في غرفة سيدك رضا وهي داخل الحرم مع انه لا يسمح لأحد بدخوله بدون اذن

ـ أول امس نهارا طلبني سيدي الوزير اليه وامرني بالتيقظ والسهر على سيدي رضا بك

فاقسمت له بأني افدي حياته بروحي وعين سرور أغا رجلا معي لحراسته وفي مساء امس اتى مدير الضبط بعشرين رجلا مدججين بالاسلحة دون ان نعلم لذلك سبب ولكن خطر لنا ان لا بد من طارىء يطرأ علينا فتسلحنا نحن أيضاً وسهرنا الليل كله

ولكن مضت ليلة امس ولم يحدث شيئا فظننت ان

سيدي الوزير توهم حدوث شيء فاتى بالرجال لحراسة السراي

وفي الصباح انسحبت الرجال ولما كان المساء أي الليلة زاد سروراغا رجاله عشرة فبلغوا ثلاثين بالاسلحة التامة

فاوجسنا خيفة من حدوث مالا تحمد عقباه فقمنا الى اسلحتنا وتدججنا بها

وصعدت انا الى الطبقة الثانية من السراي وجلست على باب الحرم السري استعداداً لكل طارئ وسلاحي على ركبتي

وفي منتصف تلك الليله سمعت صوت سروراغا ينبه رجاله الى التيقظ حتي لا يؤخذون على غرة

ولم تكن بعد ذلك الا ساعة حتي سمعت من الحرم استغاثة وصراخ فناديت البواب وامرته بان ينبه رجال سروراغا

ثم هجمت على الباب ففتحته قوة واقتداراً وتقدمت من السلم الممتد من باب الحديقه الى الحرم فرأيت

رجلين مستلين سيفيهما وصاعدان بخفة على السلم

فوقفت في وجيهما كى امنعهما عن اتمام الصعود ودخول الحرم فاراد الشقى الذي جرحته ان يطعنى بسيفه فسبقته بطعنة تركته على السلم يسبح بدماه

فهجم علي عبد السلام ودار بيننا قتال يفل منه الحديد فتملص مني عبد السلام بعد برهة ونزل على السلم ركضاً ونادى رجاله قائلا

الى الهرب . الى الهرب

فتبعته كي اقضي عليه ولما وصلت الى آخر السلم وجدت سرور اغا مع رجاله قد صدوا الاشقياء فقبض على زراعى ومنعني عن اللحاق بهم

هذا ماحصل ياسيدى

فطلب المستنطق سرور اغا وسأله عما يعرفه فحدثه سرور عن التحريرين اللذين وصلا الى الوزير وعما حدث في تلك الليله داخل السراي

فلما اتم المستنطق التحقيق امر بالقبض على ديلاور فاستشاط سيدى الوزير غضبا وكان قد استيقظ وحضر

التحقيق وقال

كيف تقبض عليه

اجاب المستنطق

اقبض عليه تحت التحقيق لانه طعن مصطفى المغربي

فاشتد الغيظ بسيدي الوزير وقال متهكما

اذن فكان يجب عليه ان يترك الاشقياء تدخل السراي وتفتك بنا كيفما شاءت دون ان يحرك ساكنا

أهذا ماتريده ياحضرة المستنطق

اجاب المستنطق

الامر الصادر لنا بالقبض على كل من يقاوم بالسلاح ولو كان بقصد الدفاع عن نفسه ولا يستثني من ذلك رجال الحكومة ايضا

قال ـ ومتي صدر هذا الامر ياحضرة المستنطق

اجاب ـ منذ ثلاث سنوات

قال ـ لا اتركك تقبض على احد ولكني اضمن كل من قاوم ودافع عنا من الهروب حتي اخابر الصدارة العظمى بشأن هذا الامر

اذن فديلاور تحت ضمانتك

اجاب — نعم وعموم من قاوم الاشقياء من خدمي

قال — لا بأس ولكن الضمانة لاتجتاز مدة اربعة وعشرين ساعة

ثم استأذن المستنطق وخرج

الفصل الثلاثون

امر الصدارة العظمى بالقبض على عبد السلام حيا كان او ميتا

بعد ان خرج المستنطق تداول سيدي الوزير مع الوالي برهة من الزمن فاستأذن بعدها الوالي وخرج

فخابر سيدي الوزير الصدارة العظمى في الاستانه بلسان البرق شرح لها فيها هجوم عبد السلام على السراي ومقاومة ديلاور له وما حدث تماما

ففي الساعة الواحدة بعد ظهر ذلك اليوم صدر امر من الصدارة الى الوالي بالقبض على عبد السلام حيا كان ام ميتا مع عموم رجاله

فاستدعى الوالي سرور اغا فلما اتى سار به الى سراى

سيدي الوزير كي يتداولوا فيما يجب عليهم عمله للقبض على الشقي ورجاله او قتلهم

ولما وصلا قابلهما سيدى بترحاب وادخلهما غرفة الجلوس واخذ كل يبدى رأيه

فاشار سرور باباحة دماء عبد السلام ورجاله وان يأمر بأن ينادي المنادي فى دمشق وضواحيها ان كل من يقبض على عبد السلام او احد رجاله حيا يكافأ بمائتي جنيه وكل من يقتله أو أحـد اتباعه ويأتى بالجثة يكافأ بمئة جنيه

فاعترضه الوالى وقال

ومن يدفع ياسرور القيمة اذ لو فرضنا ان أحدهم قبض على عبد السلام أو على احد رجاله

فقال سيدي الوزير

أنا ادفع لمن يقتلهم كلما يطلب منى

واتفق رأي سيـدى الوزير والوالى وسرور اغا على ذلك فاستأذن سرور وخرج واتي بثلاثة من المغاربة وامرهم بالمناداة باباحة قتل عبد السلام ورجاله او القبض

عليهم والمكافأة على ذلك

وفى مساء ذلك اليوم اتى سرور اغا بثلة من الشرطة احتاط بهم السراي ثم دخل برجاله السراي كي يحرسها من الداخل

وجلس سيدى الوزير مع سرور اغا يتحدثان حتى بلغت الساعة العاشرة مساء فدخل عليهما احد الخدم والتفت الى سيدى الوزير وقال

احد مزارعيكم بالباب ياسيدي

ومن هو

اجاب — هو الشيخ حسن

قال — وماذا يريد

اجاب — يريد مقابلة دولتكم

قال — دعه يدخل

فدخل المزارع وحيا سيدي الوزير وسرور اغا ووقف باحترام

فالتفت اليه سيدي الوزير وقال

ماذا تريد ياشيخ حسن

اجاب — أنا ياسيدي الذي ارسلت لكم ذاك التحرير مفصلا لدولتكم فيه اتفاق عبد السلام مع ذاك الرجل الملثم على هلاك سيدى رضا في بستان كيوان

فسأله سيدي الوزير قائلا

ألم تعرف من هو ذاك الرجل الملثم

أجاب - كلا ياسيدي لانه كان ساترا وجهه بكوفية من الحرير وملابسه بعباءة طويلة الى اقدامه

قال — ألم تعرف فرسه

اجاب — لقد كان ممتطيا فرسا ادهم من جياد الخيل نادر المثال ولا اعلم من اين اتي به ولا اظن ان دولتكم تحوزون مثله

قال — هل هذا كلما تريد ان تقوله لي

اجاب ـ كلا ياسيدى فقد اتيت لاخبركم بان عبد السلام اقسم على قتل رضا وديلاور لاجل الشقي الذي قتله الاخير وان يخرب دائرتكم ان لم تدفعوا له خمسمائة جنيه دية الرجل المقتول ثم تسلمون له ديلاور وسيدي رضا كي يقتلهما ثم تلغون امر القبض عليه

فتغير وجه سيدي الوزير خوفا على ولده وقال له

من اخبرك بذلك يارجل

اجاب - اخبرني بذلك ولدي عبد القادر

قال - واني لولدك العلم بما تقوله

اجاب - لقد اقر لي ولدي وهو في غاية الخجل

انه من زمرة عبد السلام الشقي

فتكدرت اذ لم اكن اعلم بذلك قبلا واردت

القبض عليه وان آتي به اليكم كي تعاقبوه ولكنه تذلل

الي وبرهن لي انه وان كان شريكا لعبد السلام ولكنه

لم يقصد البتة اذى رضا بك

واقراره لي اكبر برهان على انه شديد الحب

لولدكم وحافظ لمعروفه معه

ولما لكم علي من الايادي البيضاء اتيت وصحبتي

ولدي واقررت لكم بالاتفاق على هلاك ولدكم

وها ولدي خارج السراي منتظرا امر دولتكم فافعلوا

به كما تشاؤون

فتطلع سيدي الوزير الى المزارع طويلا كانه

يريد ان يتأكد صدقه من وجهه ثم قال له

اذهب وأتني به

فخرج الشيخ وخلا المكان بسرور اغا وسيدى الوزير

فالتفت سيدي الى سرور اغا وقال

ابدلي رأيك ماذا أفعل بابن الشيخ

اجاب ـ صبراً حتى نستنطقه

ودخل الشيخ يصحبه ابنه عبد القادر فتقدم الاخير وقبل يد سيدى الوزير ويد سرور اغا ووقف متأدباً

فالتفت اليه سرور اغا وقال

هل حقا ياعبد القادر انت من رجال عبدالسلام

اجاب ـ نعم ولا انكر ذلك

قال ـ وكيف اتيت الي هنا وقد سمعت بالقبض على عبد السلام ورجاله

اجاب ـ اتيت لافتدي سيدي رضا بحياتى

قال ـ كيف ذلك

اجاب ـ اسمع ياحضرة المدير

نحن كنا فى حالة يرثي لها من الفقر وزاد بلائنا بان مرض والدى مرضاشديدا فرثى بحالناسيدي الوزير ونقلنا الى اراضيه واتى بالاطباء الى والدي حتي شفى ثم اقطعنا اراض لنزرعها وقدمنا على كل مزارعيه وعينني انا على عدة بساتين ناظراً براتب كاف اقبضه كل شهر

ولذا تراني لاانكرله هذا الفضل والمعروف فاذاقدمت حياتي فداء عنه فتكون قليله بالنسبة لافضاله وخيراته العميمه

فرمق سرور اغا عبد القادر بنظرة ارتعدت منها فرائصه خوفاً وقال

أصادق فيما تقول يافتي

اجاب اقسم لك بذلك ياسيدي

قال ـ واذا طلبت منك ان تساعدنا على القبض على عبد السلام او احد رجاله او قتلهم فهل تفعل

اجاب ـ لاتأخر اذاكان عبدالسلام يريدالاضرار

اسيدي رضا. لقد زهقت والله نفسي من ارتكاب المعاصي والآثام

ولا يمنعني عن العود الى التوبة والسير في الطريق المستقيم الا هو ورجاله الاشقياء لانني خوفا على حياتى كنت لااتجاسر ان اظهر اشمئزازي من افعالهم

قال ـ احق انك تساعدنا اذا طلبنا منك المساعدة

اجاب ـ نعم ياسيدي

قال ـ اذن فاخبرنا ماذا عزم عبد السلام ان يفعله بعد ماردناه امس خائبا مكسوا بالفشل

اجاب ـ تداول عبد السلام ورجاله اليوم فاقروا على قتل كل من في دائرتكم وخرابها واتلاف الزراعة هذ اذا لم تدفعوا له خمسمائة جنيه وتسلموا له ولدكم رضا بك وتابعكم ديلاور ليقتلهم ثم تلغون الامر القاضي بقتل عبد السلام ومن معه او القبض عليهم

وقد اقسم اللصوص على ذلك وطلب مني ان أقسم معهم فرفضت وقلت له ان امد يداً الى من ساعد والدي على نجاته من المرض وعمل على رفع شأننا بعد الفقر المدقع

وتعهدت بان ابقى على الحياد اي ان لا اكون معهم في الهجوم على السراي وارتكاب الجناية ولا ضدهم

فقال عبد السلام

ولكنك اذا كنت لا تريد التداخل فيما يضر بسيدك ألا تساعدنا وتكون عوناً لنا ضد رجال الجندية او خلافهم

فقبلت رغماً عني خوفاً من ان يسقيني كأس التلف

فحرر عند ذلك عبد السلام كتاباً الى سيدي الوزير وسلمني اياه كي ابعث به مع احد اخوتي الى دولته

وقد قرروا ان يهاجموا الدائرة واكون انا بانتظارهم في البستان لمساعدتهم اذا اعترضتهم رجال الشرطة

فاتيت بالتحرير الى والدي واعلمته بما اتفقوا عليه

فقال سرور — واين التحرير

اجاب ــ هاهو

ثم اخرجه من بين ثيابه وناوله الى سرور اغا فقرأه وكان به ما يأتي

« فخامة الوزير فائق باشا

اول أمس قدمنا لكم كتاباً طلبنا فيه ان تسلمونا

عبدكم رضا من تدعي بنويته لأنه تقرر اعدامه وقد اعطيناكم ميعاداً لذلك اربعة وعشرين ساعة

ولانك توقفت عن اجابة طلبنا هجمنا امس على السراي لنقتل رضا في فراشه ولكنا وجدناك آخذا الاحتياطات اللازمة لمقاومتنا ومنعنا من قتله

ثم تجاسر تابعكم ديلاور وقتل احد رفاقي الشجعان

ولم تكتف يافخامة الوزير بذلك بل استصدرت امراً من الصدارة العظمى في الاستانه باباحة قتلنا ولكن كل ذلك سيعود عليك وبالا

فاذا أردت أن تكفر عما فعلت ويرضي عنك عبد السلام فابعث لي بخمسمائة جنيه دية الرجل الذي قتله ديلاور وسلم لي الاخير مع رضا اقتلهما واستحصل علي أمر من الصدارة يلغى الامر الاول بالقبض علينا أو قتلنا

وانا نمهلك أربعة وعشرين ساعه فاذا عملت بموجب طلباتنا اكتفيت شرنا والا فالويل لك من

عبد السلام »

فالتفت سيدي الوزير الى عبد القادر وقال

اذن فسيهاجم عبد السلام منزلي غدا اذا لم أجبه الي طلباته

قال ـ نعم لقد قرر ذلك

وقال سرور ـ نحن واثقون بقسمك ياعبد القادر فتي طلبناك للمساعدة فلا تتأخر . فقط يجب عليك أن تخبر عبد السلام بان تحريره وصل الى الوزير وانك مستعد لمساعدة الشقى والحذر من أن يلحظ باتفاقك معنا ضده

ثم اذا دبر عبد السلام أمرا فعليك بان تخبرنا به مع أحد أخوتك واذا أردنا حضورك فالحذر من التأخير شرطا أن لا يعلم بقدومك الينا أحد

الفصل الحادي والثلاثون

(هجوم عبد السلام مرة أخرى على السراى)

بعد خروج عبد القادر ووالده من المنزل مال سيدى الوزير برأسه على مقعده حزينا كئيبا

فأخذ سرور أغا يطمئنه وقال له

لا تهتم ولا تخش بأساً على رضا مادمت أنا ورجالى

هنا نحرسه

قال ـ انك ياأغا تحرسه اليوم ولكن كيف العمل

في الايام الآتية فان الشقى قرر قتله

فابتسم سرور اغا وقال

دعه يقرر ويدبر كما يشاء فلاحبطن مساعيه والآن

اسمح لى ان اضع اثنين من رجالى على سطح الحرم

قال سيدي ـ افعل ما تشاء ياأغا فقد سلمت الامر

اليك واتكلت بعد الله عليك

فخرج سرور واتى باثنين من اشد رجاله وامرهما

بالصعود على سطح الحرم للحراسة

واخذ عشرة من رجاله وادخلهم الحديقة التي دخل

منها عبد السلام الى الحرم ليخفروها

وباقي رجاله بقيت في الفناء الخارجي لتكون تحت

امره حين اللزوم ثم رتب الشرطة حول السراي واخذ

يدور بنفسه من درك الى درك



في تلك الليلة بينما كان سرور اغا يدور حول السراي منبها الحرس كان رضا بك جالسا مع والديه وكان قد مضي عليه يوما وليلة لم يخرج خارج السراي اذ لم تمكنه سيدتي الهانم من ذلك خشية من ان يغتاله الاشقياء .

ودار بينهم الحديث فالتفتت سيدتي الهانم الى زوجها وقالت

ماذا تم بعد حادثة امس

فحدثها سيدي الوزير بما اتفق عليه عبد السلام مع رجاله على الهجوم على المنزل ثانياً وقتل رضا وديلاور وخراب الدائرة اذا لم نجبه الي طلباته فقالت الهانم

وما هي طلباته

قال ـ طلب ان نسلم اليه ولدنا رضا وديلاور وندفع له خمسمائة جنيه

فاصفر وجه الهانم وقالت

شلت يمناه كيف اسلم له ولدي ومهجتي

ثم ضمت رضا الى صدرها وبكت

فقال سيدي الوزير

كيف العمل في هذا الشقي

فصمتت سيدتي الهانم برهة مفكرة وقالت

هل تقبل رأيي يازوجي العزيز

اجاب ـ كيف لا اذا كان منه الفائدة المطلوبة

قالت ـ اذا تجاسر عبد السلام وهجم على السراي مرة أخري فندبر على ارسال ولدنا رضا الى الاستانة

قال ـ نعمَ الرأي رأيك

قالت ـ ويبقى هناك حتى تتمكن الحكومة من القبض على الشقي ورفاقه وتعدمهم

قال ـ نطقت صوابا ولكن من السبب في تلك البلية

قالت ـ لا أظن فاعلها الا احمد أفندى لاني لاحظته ينفر من ولدي ويكرهه

قال ـ اذا قدر لي المولى وقبضت على عبد السلام فانى استعمل معه كافة الطرق حتي يقر لى من الذنب

اغراه بقتل رضا واجازيه بعد ذلك على افعاله

* * *

لما أصبح صباح اليوم الثانى قصد سرور أغا الضابطه لادارة اعماله بعد ان ترك الحرس حول السراى نهاراً خوفا من هجوم عبد السلام

ففي الساعة الثالثة بعد الظهر بينما هو جالس في غرفته في الضابطه دخل احد رجال الشرطه واحني رأسه باحترام وقال

رجل بالباب يطلب مقابلتكم

قال سرور ـ دعه يدخل

فدخل شاب صغير السن وقبل يد مدير الضابطه ووقف متأدبا.

فقال له سرور

ماذا تريد

أجاب ـ أتيتك ياسيدي باخبار عن عبد السلام

قال ـ من أنت

أجاب ـ أنا شقيق عبد القادر

فنظر اليه سرور أغا نظرة الفاحص وقال

هات ماعندك من الاخبار

لقد أرسلني اخي كي أعلمك بان عبد السلام قرر هو ورفاقه الهجوم على السراى الليلة

واقسموا بانهم لا يرجعون حتى يذبحوا اديلاور ورضا في فراشهما وينهبون الدائرة

فصرف سرور أغا الشاب واعتمد رأسه بيديه مفكراً برهة ثم انتصب وخرج من غرفته وامر بلوكين من عسكر السوارى بان تنتشر بين البساتين خارج حارة القنوات واصدر امره اليهم بقتل كل من يرونه الساعة العاشرة رمياً بالرصاص

وامر اربعة بلوكات من عسكر الجندرمة بان تذهب الى حارة القنوات في الساعة العاشرة مساء

ونبه على رجاله بان يتوجهوا جميعهم الى منزل الوزير الساعة الثامنة مساء ثم قصد بعد ذلك منزل سيدى الوزير وطلب منه أن يأمر عموم النساء ان تدخل غرفها في الساعة الثامنة مساء ولا تخرج منها الا في الصباح

فتعجب سيدى الوزير وسأله عن السبب فكتم سرور اغا عنه الخبر حتي لايتكدر وقال له اني اتخذ الاحتياطات اللازمه ليس الا حتى اذا سولت للشقي نفسه بالهجوم فنكون نحن مستعدون لصده

ثم طلب ديلاور واستدعاني وامرنا بان ندخل الحرم الساعة التاسعة مساء ونحافظ على رضا في غرفته مع اثنين من اتباعه يعينهما للحراسة

ولا تسل عما شعر به سيدي رضا من الخوف عندما رأى تلك الاحتياطات واستدعاني انا وديلاور وسألنا اذا كان عبد السلام عزم على الهجوم في تلك الليله

فاجبته بالسلب

قال ـ اذن لماذا كل هذه التحوطات

قلت ـ حتى لا نؤخذ على غره

قال ـ ولماذا لا يسمح لي والدي بمقابلة عبد السلام حتى اسأله لماذا يطلب هلاكي اذا كنت لم اسيء اليه

قلت ـ هذا لا يكون ولن يسمح لك والدك بالمخاطره

قال ـ والله يافيروز لقد سئمت الحياة وانا افضل

الآخرة عن هذا العالم الفاني الذي كله تعب وشرور

نعم سئمت الحياة لاني لست الاشؤماً على والدي فلو مت كنت ارحت بالهما وازلت ما بهما من القلق

قلت ـ دع عنك هذه التصورات فانما والداك يعيشان لاجلك فاقل ضرر يصيبك يقضى عليهما حزناً لاجلك

فسكت وسكت وظللنا السكون وخرج ديلاور لامر فالتفت الي رضا وقال

اما رأيت عين الحياة قريبا

قلت ـ نعم ياسيدي فقد طلبتني والدتها واستفهمت مني عما حصل من هجوم عبد السلام فاخبرتها بما حصل تماما

فتكدرت وقالت

لا تفارقه يافيروز وكن حارسا له

ونحن فى الحديث دخلت عين الحياة وسألتني عنك فشرحت لها ما حدثت به والدتها

فاصفرت خوفا عليك وقالت

أخبره ان يسافر الى احدي الجهات حتي تتمكن

الحكومة من القبض على الشقى واعدامه

وقد قالت لي انها تود ان تراك

فقال سيدى رضا

ومتى كانت مقابلتك لها

قلت ـ اليوم الساعة الرابعة مساء

قال ـ ولماذا لم تخبرني بذلك بعد مقابلتك لها

قلت ـ خوفا لئلا تطلب الخروج من السراي كي تقابلها

ودخل ديلاور حينذاك فقطع علينا الحديث والتزمنا بان نتكلم عن أمور أخري

وما زلنا في الحديث حتى بلغت الساعة الحادية عشر بعد الغروب اى قبل منتصف الليل بساعة فسمعنا صراخا عظيما واستغاثة واناساً تطلب النجدة ثم تلا ذلك أنين

فقمنا الى النافذة وتطلعنا منها على الحديقة فرأينا اللصوص قد كسروا باب الحرم ودخلوا المناء شاهرى السيوف

وكان عبد السلام يصرخ في رجاله قائلا

اقتلوا كل من يعترضكم

ولكن مالبث ان فتح باب الحرم المقابل الحديقة ودخل منه سرور والرجال تتدفق وراءه

فاعترض الاشقياء في الفناء ودار بين الفريقين قتال شديد فكنت لا تسمع غير رنين السيوف وزعقات الرجال وبريق الاسلحة

وانفصل عبد السلام عن الرجال منتهزاً فرصة انشغال سرور اغا ورجاله وتقدم من السلم قاصداً الصعود الى غرفة سيدى رضا

فلما رآه ديلاور امتشق حسامه ونزل اليه وهجم عليه ودار بينهما قتال تستعيذ منه الابالسة

وكان سيدي رضا ينادى ديلاور خوفا عليه من عبد السلام ولكنه لم يلتفت اليه

ودام القتال بينهما وهما يزمجران كاسدين برهة فلاحت فرصة الى ديلاور فانتهزها ورفع ساعده وهوى بسيفه على رأس عبد السلام

فظننا ان السيف شطره نصفين اما عبد السلام

فرفع طارقته « ترس » فوق رأسه كي يحتمى بها وهو يستعيذ من تلك الضربة الهائلة

فنزل السيف على الطرقة فانكسر فصرخ عبد السلام سروراً اذ رأي ديلاور من غير سلاح وهجم عليه وضربه بسيفه

ولما ان لاطارقة لديلاور يحتمي بها اخرج بسرعة البرق قرابينة من ثيابه والتقى بها ضربة عبد السلام فسقط السيف من يده

فحرر ديلاور القرابينة على عبد السلام واطلقها عليه فانحذف هذا على الارض بسرعة فلم يصبه الطلق الناري

ثم التقط حسامه من الارض ورفع يده كي يضرب ديلاور به فسمع صوت سرور يأمر رجاله باطلاق النار على الاشقياء وتلاه دوي كالرعد القاصف

فنظر عبد السلام الى رجاله واذا بها تقاتل مقاتلة من أشرف على الهلاك وقد هلك ثلاثة منهم بالرصاص من رجال سرور والبقية مثخنون بالجراح وهؤلا

يحيطون بهم ويضربونهم باسلحتهم قاصدين هلاكهم

فترك ديلاور وهجم على رجال سرور وقاتلهم حتي تمكن من الاتحاد مع رجاله ثم صرخ فيهم قائلا الى الهرب يارجال

ففروا هاربين والى النجاة طالبين تاركين قتلاهم في الفناء وخرجوا من الحديقة

وكان قد قتل في تلك المعمعة اثنين من الشرطة في الحديقة واما رجال سرور فجرح منهم أربعة

وقد اتى وقتذاك الوالي والمشير والمستنطق فكتبوا محضرا ونقلوا الجرحى الى المستشفى وامروا بدفن القتلى

ثم اصدر الوالي امراً الى طابور من عسكر السواري باتباع الاشقياء والفتك بهم

وتداول سيدي الوزير والمشير والوالي وسرور اغا في مسألة عبد السلام فقرروا بعد الاخذ والرد ان يسافر رضا مع ديلاور الى الاستانه حتي يظفروا بعبد السلام

واستدعوا بعد ذلك سيدي رضا واخبروه بما

قرروه وبوجوب سفره الى الاستانه

فرفض وتمنع ولكنهم ارغموه على القبول وبوجوب الاسراع في السفر في عربة البوسته التي تقوم في صباح اليوم الثاني

وتعهد سرور اغا بان يحافظ عليه ويحرسه حتى يصل بيروت ومنها يقصد الاستانه في احدى البواخر

الفصل الثاني والثلاثون

« سفر رضا الى الاستانه . التدبير على هلاك »

« عبد السلام ورفاته »

في تلك الليلة قبل بزوغ الفجر دعاني سيدي رضا وقال لي منك امر واحد يافيروز

قلت ـ وما هو ياسيدي

قال ـ اريد منك ان تجمعني بمين الحياه

قلت ـ انك تطلب المستحيل

قال ـ بحزن

سافارقها ولكن قل لها أن غيابي عنها لا يطول واني

باق على العهد كي تعتصم بالصبر

وطمئنها عني وقل لها اني بخير ولم يصبني ضرر

هل فهمت ما أقول يا فيروز

قلت ـ نعم ياسيدى

قال ـ اقسم لي ان تفعل ذلك

فاقسمت له

ولا تسل ياسيدى كاظم باشا ما نال نازك لسفر رضا فقد بكت حتى قرحت جفونها

فتكدر سيدي رضا لما اصابها من الحزن لفراقه فاستدعى والدته واوصاها بنازك خيرا

*
* *

ولما لاح الفجر خرج سيدي رضا بعد ان ودع والديه وعموم من في السراي وسافر مع ديلاور وسرور ورجاله قاصدين بيروت

*
* *

ذهبت بعد سفر سيدي رضا الى منزل المشير وقابلت عين الحياة وبلغتها خبر سفر سيدي رضا وما

اوصاني به

فتناثرت الدموع من عينيها وقالت

وان يكن فراقه يصعب علي ولكني اقابل ذلك بالابتهاج لان في سفره خلاصه من الاشقياء

ثم رفعت عينيها الجميلتين نحو السماء وقالت

احفظه يا الهي من الاشرار وارجعه لي سالما

ثم التفتت الي وقالت

لاتنس يافيروز اذا اتاك كتاب منه بوصوله ان تأتي الي وتخبرني به

قلت ـ لك ذلك يامولاتي

وكان قد خطر لي ان اعمل طريقة لارتباط عين الحياة بسيدي رضا بعد رجوعه من الاستانه ارتباطاً مقدساً حسب السنة والشرع الشريف

ولكني اردت ان آخذ رأي شوقدارهانم والدتها فالتفت الى عين الحياه وقلت لها

دعيني اقابل والدتك

قالت ـ قف قليلا حتى ادعوها اليك

ثم هرولت وما غابت عن عيني قليلا حتى عادت تتبعها الهانم فقبلت يدها وقلت لها

دعيني احدثك بأمر هام

قالت ـ لا بأس يافيروز

ثم التفتت الى ابنتها وامرتها بالابتعاد وقالت تخاطبني

تكلم يافيروز

قلت ـ أنت عالمة ياسيدتي بالحب المتبادل بين عين الحياه وبين سيدي رضا

قالت ـ نعم

قلت ـ ولا يبرح عن بالك ان انفصالهما عن بعضهما يؤدى بهما الى التلف

قالت ـ هذا أكيد

قلت ـ خطر على بالي أمر فيه الخير والسعادة والهناء للاثنين

قالت ـ قل يافيروز ماهو

قلت ـ خطر لي أن ادبر على ارتباطهما ارتباطاً مقدساً

فهتفت بسرور قائلة

ليت يتمّ ذلك

قلت ـ اريد أن أعرف اذا خاطبت سيدي الوزير وسيدتي الهانم بشأن زواج سيدي رضا بعين الحياة فهل يقبل سيدى المشير بذلك

قالت ـ نعم نعم انه يقبل وأنا أتعهد بانه لا يمانع مطلقاً

قلت ـ أواثقة انت من ذلك

قالت ـ نعم لانه عالم بما بين ابنتي ورضا من الحب

قلت ـ عجبا اني لا أصدق فما البرهان على ذلك

قالت ـ لو لم يكن عالماً بما بينهما من الوداد ولو لم يكن راض عن حبهما لما تمكن رضا من مقابلة أحد منا أو رؤيانا

ولكن رضاه عن حبها ورغبته الشديدة في رضا جعلته ان يغض الطرف عن دخوله علينا ومقابلته لعين الحياة

أفهمت يافيروز هذا هو البرهان فدبر ما شئت لارتباط المحبين ببعضهما كلل الله عملك بالنجاح

قلت سأعمل جهدي يامولاتي لكن على شرط ان تعضدني خشية من امتناع سيدي المشير

قالت لا تخف فسأفاتح زوجي في هذا الشأن وكن أنت أيضا مساعدا لي مع سيدك الوزير

قلت جل مناي يامولاتي ان أجمع بين الحبيبين وعسى ان المولى يحقق الآمال

ثم تركت منزل المشير وقصدت منزل سيدي الوزير فوجدته مع المشير والوالي في المداولة بشأن عبد السلام

وبعد ذلك ببضع دقائق دخل بيمباشي طابور عسكر السوارى الذى اقتفى أثر عبد السلام وكان من الشجعان ذوي البأس

فسأله المشير عما تمّ بينه وبين الشقي

أجاب البيمباشي

اقتفيت أثر عبد السلام ولحقت به خارج دمشق فهجمنا عليه ودار بيننا قتال شديد اسفر على فوزنا عليهم بعد ان قتل منهم اثنان وفروا وزعيمهم الي الجبال الوعرة

فتوقفنا عن مطاردتهم لصعوبة الطرق والمسالك على الخيل ولكني فرقت العسكر في عموم الطرقات التي يسكنها حتى اذا خرج اليهم يبيدونه هو ورجاله

فقال المشير وهو يبتسم

« عفارم عفارم » بيمباشي فثابر على عملك هذا حتى تقبض عليهم او تفنيهم وبعد ذلك تنال المكافأة

فاحني البيمباشي رأسه باحترام دلالة علي الاطاعة وخرج

وبعد ان قضى المشير والوالي ساعة مع سيدي الوزير خرجا بعد أن استأذنا ونبها على عموم الشرطة المحيطة بالمنزل بالسهر والتيقظ

ومضت ثمانية ايام والسكون ضارب اطنابه في دائرة الوزير حتى ظننا ان عبد السلام ارتجع عن عمله خشية من سطوة الحكومة وشدة بأسها

وكان في اثناء ذلك قد رجع سرور اغا مع رجاله من بيروت بعد ان انزل رضا بك فى احدى البواخر الى الاستانة مع تابعه ديلاور

ففي اليوم التاسع لسفره بعد الغروب بينما كنا
جالسين في السراي بقرب الباب اذ تقدم مناقروي بلباس
اهل القرى وطلب مقابلة سيدي الوزير

فسألته ماالذي يريده منه

قال معي تحرير اليه

فدخلت على سيدي الوزير واخبرته بامر القروي

فامرني باحضاره فلبيت الامر واحضرته

فالتفت اليه سيدي الوزير وقال

اين التحرير

فاخرج القروي من بين ثيابه تحريراً داخل مظروف
كبير وناوله له

ففضه وقرأه وكان كما يأتي

« سيدي الوزير الافخم

ان ماعمل ضد عبد السلام لم يرهبه ولا اتعظ بقتل
رجاله فانه بعد ان فر هو ورجاله الى الجبال من وجه
العسكر رجع امس ليلا الى المزه في بستان كيوان
واجتمع برفاقه فيه وكنت أنا بينهم

فقرروا قتلكم وعموم مستخدميكم حتى وحرمكم ايضا وخراب الدائرة ونهب الاموال

ولربما يهاجمون السراي في هذه الليلة فكن على حذر لانهم اقسموا بان لا يرجعوا الا بقتلكم او ان يقتلوا عن آخرهم «عبد القادر»

فالتفت بعد قراءة التحرير الى القروى وقال

كيف وصلك هذا التحرير

اجاب ـ وصلني من أخي عبد القادر

قال ـ انتظر خارجا برهة مع الخدم حتي اكتب لك الرد

ثم امر احد الخدم بان يذهب ويدعو سرورآغا فغاب الخادم ساعة واتى بسرور فقابله سيدي الوزير بترحاب واطلعه على فحوى التحرير

فطلب سرور اغا القروي وقال له

قل لاخيك عبد القادر ان يأتى بعد يومين خفية لمقابلتى . ثم صرفه

واستأذن بعد ذلك وخرج قاصداً منزل المشير

وارسل من استدعي الوالي الى منزل الاخير وتداولوا في مقاومة عبد السلام

فقر رأيهم على ان يحتاطوا حارة القنوات بطابور من عسكر السواري ويقتلون كل من يشتبهون فيه ليلا كان ام نهاراً

واصدر المشير امره بذلك فاحتاطت العساكر الشاهانية حارة القنوات من عموم الجهات

وفي تلك الليلة اراد عبد السلام الهجوم على السراى ولكن انتباه العساكر ورجال سرور ارجعهم عن قصدهم

فان العساكر حين رأتهم اطلقت عليهم النار فارتدوا وفروا هاربين

وهجم في الليلة التالية فارتد خاسراً كالليلة السابقة

وفي اليوم الثالث مساء ذهب عبد القادر احد رفاق عبد السلام الى سراي سيدى الوزير متخفٍ وكان سرور اغا فيها

فلما بلغ سرور حضور عبد القادر خرج اليه وقابله واختلى به في احدى الغرف ودار بينهم الحديث كما يأتي

ـ ما عندك من الاخبار ياعبد القادر

ـ لقد صمم عبد السلام على الفتك بك وبرجالك وبالوزير واتباعه وقد رده الليلتين الماضيتين عن تنفيذ اغراضه انتباهكم الشديد ومقابلتكم اياه باطلاق الرصاص

ـ ألا يزال مصمما على الهجوم بعد ان رأى منا ما رأى

ـ لقد عزم على مباغتتكم فسيترككم بضعة ايام حتى تتناسوا المسألة ثم يهجم على السراي ويفتك بمن فيها ولذا اتيت لانبهكم لتكونوا على حذر لانه لا يرجع عن قصده

ـ ألا زلت ياعبد القادر على قسمك على هلاك عبد السلام ورفاقه

ـ نعم لكن على شرط انكم حينما تقبضون عليه وعلى رجاله تعدمونهم حالا

ـ ولماذا

ـ لربما اذا بقي حيا يفلت من ايدي رجال الحكومة فيعدمني واسرتي واصدقائي ايضا

ـ لقد فكرت قبلك في هذا الامر خشية ان يفتك بي أنا ايضاً

ـ اذن فاني اعمل كما تريد فمرني بما تشاء

اريد ان تعمل مرسحا (١) في المزه بعد سبعة ايام وتدعو اليه شباب «شجعان» دمشق

ويكون بين المدعوين عبد السلام ورفاقه فتقدم لهم خمرا حتى اذا لعبت برؤوسهم تضع لهم قليلا من مشروب آتي به اليك داخل الخمر فلا يستقر في جوفهم حتى يصيرون كالاموات

واكون أنا ورجالي بين المدعوين خفية فتقدم لي اشارة وهي أن تضع القنديل على نافذة الغرفة الموجودين فيها

فادخل أنا ورجالي وأذبحهم عن اخرهم ونتخلص من شرهم

---

(١) المرسح في دمشق عبارة عن ساحة كبيرة في الخلاء يجتمع فيها الشجعان فيشربون خمراً ويأكلون لحماً ويرقصون ويلعبون

ـ اذن فالمشروب الذي تأتيني به هو منوم

ـ هو ذاك

ـ ولكن انت أعلم كم تكلفني تلك الدعوة من المصاريف فكيف أقدر أن أقوم بها وأنا رجل فقير

ـ سآتيك بمصاريف تلك الدعوة

ثم صعد الى حيث كان سيدي الوزير وأخذ منه مائة جنيه وأسرع الى عبد القادر وأعطاه اياها وأوعده بالمكافأة عند اتمام الامر

الفصل الثالث والثلاثين

(قتل عبد السلام ورجاله)

المزة هي بلدة صغيرة تبعد عن دمشق أربعة أو خمسة كيلو مترات واقعة في الجهة الشرقية منها

وهي جميلة كثيرة المراعي ملآى بالحدائق والبساتين الغناء نقية الهواء أسكن سيدي الوزير فيها المزارعين لزراعة الاراضي بعد فلاحتها

وكان لتلك البلدة الصغيرة الجميلة سهل متسع يمتد

على بعد شاسع

ففي اليوم السابع لمقابلة عبد القادرالي سرور اغا كان ذلك السهل كشعلة من نار لكثرة الانوار التي تبتدئ من منزل مزين أجمل زينة الى بعد شاسع ففي الساعة الساعة السادسة مساء دارت كؤوس الراح على شجعان دمشق وجبابرتها الذين اجتمعوا في ذلك السهل الواسع يلعبون بالسيف والعصي ويقرعون بعضهم بالقنا لاهم لهم سوي معاقرة بنت الحان وشرب كاس الدنان

فسكت فيروز اغا للراحة قليلا وعاد مخاطبا كاظم باشا

هل تعرف أيها الوزير من كان داخل ذلك المنزل المزين الذي تبتدئ منه الانوار

— لست نبيا يافيروز فاعلمني من كان داخله

— كان داخله ايها الوزير رجل طويل القامة عريض المنكبين تلوح على وجهه الشجاعة والبأس جالس على ركبة ونصف يحتاط به أربعة عشر رجلا من ذوى البأس يقرعون كؤوس الراح ويكرعون الاقداح وهم منشرحوا

الصدور غير حاسبين حسابا للعواقب ولو علموا ان تلك الليلة هي ليلة وداعهم لهذه الدنيا لما دخلوا هذا المكان بل كانوا فروا في الجبال والوديان

— من هم اولئك الرجال يافيروز

— هم ضالة سرور اغا بل ضالة الحكومة المنشودة عبدالسلام ورجاله

فكانوا يشربون الكاس تلو الكاس كأنهم يكرعون ماء زلالا وعبد السلام ينشدهم أناشيد تلذ لهم بما يشابه زئير الوحوش الضارية

وما انتصفت تلك الليلة حتى لعبت الخمر برؤوسهم فانتصب عبد السلام واقفا وجرد سيفه ففعل رجاله مثله دون ان يستفهموا عن السبب مما يدل على انهم يطيعونه طاعة عمياء

وهم كذلك دخل شاب والتفت الى عبدالسلام وقال

ماالخبر ايها الزعيم

اجاب عبد السلام

لاشيء ولكني اريد الخروج

قال الشاب ـ الى اين تريد الذهاب

اجاب عبد السلام وعيناه تقدحان شرراً

اريد الذهاب الى دمشق كي اهجم على دائرة فائق باشا وابيد كل من فيها واخربها

ثم التفت الى رجاله وقال .

كيف ترون رأيي أيها الشجعان

فاجابوا بصوت كقصيف الرعد

نطقت صوابا فلنذهب

فوقف الشاب في وجوههم وقال مخاطبا عبد السلام

ماهذا ايها الزعيم أتترك ساعة الحظ وهي لاتعوض هل تريد ان تفسد علينا ليلتنا هذه بخروجك وقد ضحيت كلنا املاك محبة فيك وفي اصدقائي

كلا لا تتركنا ايها الزعيم وتخرج فهيا الى ارتشاف كأس الراح ودعنا نبدل الاتراح بالافراح

فقال عبد السلام وهو يتمايل عجبا

ولكن ألا تعلم ان بقتل فائق باشا يكمل سرورنا اذ نكون قد اخذنا بثار من قتل من رفاقنا

ثم زأر عبد السلام كالاسد وقال

لقد فر رضا من بين ايدينا فلننتقم من فائق باشا

آه اللئيم ديلاور لقد وقف في وجهي وتمكن من وقاية رضا من سيفي فهيا الي الانتقام من فائق باشا ايها الرجال

فاعترضه الشاب وقال

ابق مسأله الانتقام الى الغد ايها الزعيم فهذه الليله لا يمكن تعويضها

اجاب عبد السلام

« عند قولك ياعبد القادر » فأتنا بالمدام لنشرب نخبك قبل ان نجلس فملاء عبد القادر لهم الكؤوس فكرعوها

وشرب نخبهم عبد القادر ايضا

وما زالت الكؤوس تدور على القوم حتى ادمنوا فبدت علائم السكر على وجوههم فانسل عبد السلام من بينهم وخرج دون ان يشعروا لشدة السكر

وبعد برهة رجع اليهم وفي يده زجاجة كبيرة

وصب منها اليهم فما كادوا يشربون الاقداح حتى سقطوا على الارض واستغرقوا في نوم عميق

فعند ذلك تقدم عبد القادر من نافذة الغرفة وفتحها ووضع قنديلا فيها

وما مضت برهة حتى هجم رجال سرور على المنزل ودخلوه ولكن ما رأوا عبد السلام على الارض هو ورجاله يغطون في نومهم حتى أصابتهم قشعريرة الخوف ووقفوا في مكانهم جامدين

ووصل في ذلك الحين سرور اغا ودخل المنزل وسيفه مسلولا فذبح به عبد السلام

فلما رأت ذلك رجاله تشجعوا فاستلوا سيوفهم وذبحوا رجال عبد السلام عن آخرهم

ثم أقفلوا باب المنزل وجلسوا على الارض وسرور اغا معهم يشربون نخب بعضهم كانه لم يحدث شيء

وما زالوا كذلك حتي بزغت الغزالة في صباح اليوم الثاني وتفرق الناس كل الى عمله فقام سرور وقطع رأس عبد السلام ورؤوس رجاله وأمر أهالي المزه

بدفن الجثث فدفنت

واما سرور فانه حمل رؤوس الاشقياء الى دمشق وما كاد يأتي ظهر ذلك اليوم الا وانتشر خبر قتل عبد السلام ورجاله في دمشق

فكان كبشير منذر بسرور وابتهاج وأخذ كل من الزارعين يسير الى عمله بارتياح واطمئنان

فلما وصلني الخبر اسرعت لابشر سيدتى الهانم بموته فالتقيت بنازك

ولما رأت لوائح السرور والبشر ظاهرة في وجهي سألتني عن الخبر

فانبأتها بموت الاشقياء فرقص فؤادها طرباً لهذا الخبر السار وقالت

اذن سيرجع سيدي وقد زالت العقبة وقتل عدوه

ثم هرولت الى غرفة سيدتى الهانم وبشرتها بموت عبد السلام ورجاله

فضمتها سيدتى الهانم الى صدرها وكافأتها بقبلة وهي تذرف دموع الفرح لخلاص سيدي رضا

فقالت نازك تخاطب سيدتي الهانم

ألا تحررين الى ولدك رضا تبشريه بموت أعدائه

اجابت ـ اذا كنت تريدين ذلك فاني ابشره تلغرافيا واطلب منه الرجوع الينا

فاحمر وجه نازك خجلا فضمتها سيدتي الهانم الى صدرها مرة اخرى وقبلتها

ولما وصلت حيث كانتا تتحادثان تملصت نازك من بين ذراعي سيدتي الهانم وفرت كغزالة نحو اهالي القصر كي تبشرهم

ولما رأتني سيدتي الهانم تقدمت مني وقالت

قص علي يافيروز كيف قتل عبد السلام ورجاله

فأخذت احدثها كيف دبر سرور اغا على هلاك الاشقياء باتفاقه مع عبد القادر

فاندهشت وقالت

نحمد الله الذي خلصنا من هـذا الشرير ورجاله الابالسة وشكراً لسرور اغا لسعيه في قتلهم

وبعد هنيهة من السكوت قلت

هل عزمت ياسيدتي الهانم ان تخبري سيدي رضا بقتل أعداءه وان تطلبين حضوره كما اوعدت نازك بذلك

قالت — لاشك يافيروز فانا لا اطيق فراقه

قلت — ولكن أرى الاوفق بقاءه في الاستانة فلا لزوم لاخباره

قالت — لماذا أيوجد مؤامرة اخرى ضده

قلت — كلا لا خطر عليه من احد ولكن الخطر عليه من نفسه فالاوفق كتم الخبر عنه وبقاءه في الاستانة

قلت — لقد أزعجتني يافيروز فما هو هذا الخبر افصح مقالك وفسر هذه الالغاز

قلت — نعم يجب ان اخبرك حتى تكوني على حذر من وقوع الضرر

قالت — قل تكلم لقد فرغ صبري

قلت اتتذكرى يوما اطاق سيدى رضا الرصاص على نفسه

قالت — اذكر ذلك جيداً

قلت — وقد كنت تعرضين عليه الزواج بنازك

قالت - نعم

قلت — ألم يكن السبب في ذلك اسـ اطلاقه الرصاص على نفسه هو ضغطك عليه كي يبوح لك بالسر الذي هو سبب رفضه الاقتران بنازك

قالت — نعم نعم فهل تعرف السر

قلت — كلا ولكني لا اظن انه يميل الى الزواج بنازك

قالت — كيف ومن اخبرك بذلك

قلت — لحظت انه مشغول بغيرها وربما يكون وعدها على الاقتران بها

قالت — حاشا لولدى ان يعاهد من تكون احقر منه شرفا على الزواج

قلت — ولكن ياسيدتي من شغف بها قلبه ليست وضيعة النسب بل هي تقارنكم حسباً ونسبا وشرفا وغنى

قالت - ومن هي تلك الغادة التى فتن بها رضا

قلت ـ اظنها عين الحياة بنت المشير

فابتسمت وقالت

احقا ماتقول يافيروز

ولما رأيتها ارتاحت الى ذلك الخبر اجبتها

اؤكد لك ياسيدتي انه مغرم بها

قالت ـ هذا جل مناي فقبل سفره الى الاستانة مع والده كنت فكرت في ان ازفها اليه

ولكنه لما رجع مصطحباً نازك عدلت عن فكري لانني كنت اراه كثير الميل اليها وقد اخبرني زوجي انه يحبها

ولكن مادام ولدي رضا لا يميل اليها بل يهوى عين الحياة فارسل له اشارة اخبره فيها انى اطلعت على سره واطلبه الي الحضور كي اتمم ما يريده

قلت ـ ولكن لربما يرفض الزواج ايضا بعين الحياه

قالت ـ تقول انه يهواها فكيف يرفض الاقتران بها

قلت ـ لانه عالم بان نازك تحبه حباً يفوق العبادة فهو لا يريد ان يقتلها حزناً بعد زواجه

فهو سيتحمل العذاب ببعده عن حبيبته رأفة في حالها وشفقة عليها

قالت ـ اذن ما العمل يافيروز ابدلى رأيك

قلت ـ الرأى ان تجبروا نازك على الاقتران بامين ابن احمد افندى وهو يقبل بذلك شاكراً .

ويكون ذلك قبل حضور سيدي رضا من الاستانه فمتى وصل هذا ورآها متزوجة بابن عمه يرتاح باله من جهتها ويتخذ عين الحياة زوجة له

الفصل الرابع والاربعون

ذكرى منذ ستة شهور

فصمتت سيدتي الهانم برهة وقالت

رأيك هو الصواب يافيروز فسأخبر الوزير متى أتى حتى لايخبر رضا بقتل عبد السلام قبل انتهاءنا من مسالة نازك

ثم خرجت بعد ذلك الاتفاق الذي ملأ فؤادى سرورا

وبعد ساعة من خروجي دخل سيدى الوزير الحزم
فقابلته سيدتي الهانم فرأته باسم الثغر مسرور الفؤاد
اماهو فامسك يدها وساروا اياها الى غرفة الجلوس
وجلس على مقعد وقال لها

ان هذا اليوم لاسعد ايام حياتي يازوجتي العزيزة
فقد تخلص رضا من عدونا الشديد وزال الخطر
فشكرا لسرور اغا الهمام الذى اراح العباد من شر
هذا الشقي الذي عجزت الحكومة عن ردعه

قالت سيدتي الهانم وهى تفكر في طريقة تأتى
بها الى القصد المطلوب لتتمكن من مفاتحته به
نعم نعم انه ليوم سعيد وكم يسر ولدنا رضا اذا علم
بهلاك عدوه

قال وهو يتبسم

سيكون سروره عظيما ايتها الزوجة المحبوبة ولا بد
لنا من اخباره بزوال الخطر وبهلاك اعداءه عاجلا بلسان
البرق حتي يعود الينا ونطوق عنقه بذراعينا

قالت ـ اخباره بموت اعدائه محتم علينا وواجب

أيضاولكني اري تأجيل ذلك الى بضعة ايام اوفق وانسب

قال باندهاش ـ لماذا تريدين بقاءه في الاستانه

مادام قد زال الخطر

قالت ـ لان في وجوده هناك راحة لضميره

قال ـ كيف . ألم يكن مرتاح البال هنا

قالت ـ اسمح لي أن افسر لك هذه الالغاز فوجود

نازك بدون زواج هو الذي أربك رضا

فالاوفق قبل مفاتحته بهلاك اعدائه وطلبه الى

الحضور ان تسرع في زواج نازك بامين ابن اخيك

فيرتاح بال رضا وتزول الكآبة التي لازمته زمنا

ولكن على شرط ان يتم ذلك قبل رجوع رضا

الى مشق

قال ـ كلا لا يكون ذلك ابداً

قالت ـ ولماذا

قال ـ لان رضا يحب نازك

قالت ـ هو يحبها كشقيقة ليس الا فحبته لا تجاوز

حد الشفقه والرأفه

قال ـ اذن ماسبب كآبته

قالت ـ دعني احدثك بذكرى منذ ستة شهور

فقبل سفرك الى الاستانة بثلاثة شهور زارتني

شوقدار هانم زوجة المشير وابنتها عين الحياة

وحانت مني التفاتة الى النافذة فوجدت ولدنا

رضا واقف يسترق منها النظر الينا

وحتى لا تلحظا وجوده ناديته ثم طلبت منهما ان

يضعا « اليشمك » على وجهيهما

ودخل ولدي رضا ورأسه الى الارض حياء

وسألني لماذا ناديته فقلت له

هل أتيت بكشف القماش لذى اشتريناه من محل

عمر افندي

قال — نعم فالاثمان فاحشة ولا أعلم السبب في

غلاء القماش وقد أتيت كي اطلعك عليه حتي اذا قبلت

به دفعنا القيمة

ولكني لحظت من النافذة وجود زائرين عندك

فأردت الرجوع فناديتني فاتيت اليك

فامرت له بالجلوس فجلس وقلت له كي اعلم حقيقة
أمره وسبب وقوفه في النافذة
أين القائمة
اجاب ـ هاهي
ثم اخرج القائمة من بين ثيابه وناولني اياها
فاخذتها واطلعت عليها فوجدت ان الاثمان
موافقة فتأكدت مكره وانما اتي ليسترق النظر الى عين الحياه
وما كان كلامه هذا الا تمويها
وكي أريه اني فهمت سبب وجوده وراء النافذة
قلت له

هيا ياولدي العزيز واعمل جهدك لتنال رتبة
ميرالاى كي اخطب لك عين الحياه
فاحمر وجهه خجلا وقال
أني لي ان انال هذا الشرف
ومما ناله من الحياء وقف يريد الخروج ولكن
زوجة المشير اوقفته بقولها على سبيل المزاح
يظهر ياعزيزي انك غير راض بمناسبتنا

قال - العفو ياسيدتي

فقاطعته قائلة

اذن لماذا كنت تريد تركنا

قال - من انا ياسيدتي حتى انال شرفا رفيعا لا

يحلم به الامراء

فضحكت من خجله وقالت

اذا كنت تريد مناسبتنا فابنتي تكون جارية لك

فعارضتها بقولي

كلا لا يكون ذلك الا اذا نال رتبة ميرالاي

فقالت زوجة المشير مبتسمة

نحن نعلمون به وهو في وظيفته الحاليه

ثم التفتت الى رضا وقالت له

هل تقبل بمناسبتنا ايها العزيز

فكاد رضا ان يذوب خجلا

فقالت زوجة المشير

سكوتك هو خير جواب ولكن يلزمني ان

اريك ابنتي حتى اذا راقت في عينيك تعطيني داول

شرف »

ثم مدت يدها ونزعت اليشمك عن وجه عين الحياه رغما عن الفتاة التي كانت تمانع حياء منها

فبان من تحته وجه فاق البدر جمالا وقالت له

هل تعجبك عين الحياه انظر اليها

فتطلع اليها رضا وتلعثم لسانه عن الجواب لفرط محاسنها

فقالت زوجة المشير مبتسمة

اراك لا تجاوب فهل راقت في عينيك محاسنها

فقال سيدي رضا بدون وعي وانتباه

نعم

فقامت زوجة المشير وتقدمت ولثمت جبهته وقالت

سأكون مسرورة متى رأيتكما الى جانبي بعضكما ترتشفان كأس السرور

فقبل رضا يدها وخرج

واستأذنت بعد برهة زوجة المشير وابنتها وخرجتا

قاصدتين منزلهما

ومنذ ذلك اليوم ورضا في حالة غريبة

وكنت ألاحظ انه يريد ان يكاشفني ولكن الحياء يمنعه عن اباحة مايكتمه

وكان بفكري قبل سفركم الى الاستانه ان أخطب له عين الحياة

ومازال هذا الفكر ملازما لي حتى رجعتم من الاستانة وبرفقتكم هذه الجارية الحسناء نازك تحمل اليّ كتابا من والدتي تخبرني فيه عن محبة رضا لنازك وانها أي والدتي قد جهزت نازك حتى متى وصلت دمشق تزف اليه

فتركت حينذاك عين الحياة وتحولت بكلي الى نازك كي أجعلها سيدة هذا المنزل لانها كما كنت أظن المالكة لقياد رضا

ولكن ماأشأم تلك الليلة التي أخبرت بها رضا بما ارتاينا من كتب كتابه على نازك

فانه أطلق على نفسه الرصاص تخلصا من الاقتران

بها مدعيا انه يوجد مانع يمنعه من زواجها

والكن لااظن هذا المانع الا حبه لابنة المشير

وقد بحثت جيدا فعلمت انه كان يزورها سرا

وقد اهداها هدية ثمينة وهو تاج من الذهب

مرصع بحجارة كريمة وتعاهد هو واياها على الاقتران

قال سيدى الوزير متعجبا مما حدث

امتأكدة ذلك يازوجتى العزيزه

اجابت ـ كل التأكيد

قال ـ اذن فهذا غاية المأمول فباقترانه بابنة المشير

تعلو منزلته في اعين الناس

ناهيك ان عين الحياة اصيلة الحسب رفيعة النسب

ذات جمال وكمال وادب يندر ان يتواجد في بنات الذوات

فوكلت أمر زواج نازك بامين اليك ويكون

ذلك في مدة ثمانية أيام حتى لا يأتي اليوم الثامن الا

وتكون زوجته

قالت ـ هذا هو الصواب حتى لا يصل رضا الا

وتكون قد زفت اليه

قال — نعم هذا هو الصواب وسأقابل المشير وأطلب منه ابنته عروسا لرضا

ثم نتفق على انه متى وصل رضا الى دمشق يكتب الكتاب حالا بدون امهال

قال ذلك وخرج

***

لما خلت سيدتي الهانم بنفسها استدعت نازك اليها وقالت

اعلمي يا بنيتي ان زوجي انبأني منذ هنيهة ما كدرني وهو ان والدي الصدر الاعظم ارسل له اشارة برقيه اخبره فيها انه اي والدي أخذ رضا بعد وصوله الاستانة ومثل به بين يدي جلالة السلطان وحدثه بما كان من عبد السلام ضده

فاستاء جلالته مما حدث وأصدر أمره بان يكون في معيته وأن لا يخرج من الاستانة قط وأن يتزوج بابنة خالته

وكان جلالة السلطان عقد لرضا على ابنة اختي

أمس مساء. أترين ايتها العزيزة كيف ان جلالته أبعده
عنا فجعلنا بعد ذلك عرضة للافكار به والانشغال لاجله

فظهرت على وجه نازك لوائح الكدر ولكنها
تجلدت وقالت

ألا يعود سيدى رضا بعد ذلك الى دمشق

قالت لهانم

كلا ان يعود يابنية اذعانا لامر جلالة السلطان

قالت نازك ـ وهل تقدرين ياسيدتي على فراقه
وبعده عنك

قالت الهانم ـ فراق الروح أسهل من فراقه يابنيتي
ولكن ما العمل وقد امر جلالة السلطان ببقائه في الاستانة

قالت نازك ـ ولماذا لا تذهبين اليه ياسيدتي وتبقين
هناك معه مادام فراقه صعب عليك

قالت الهانم ـ ليتنا نقدر على ذلك يابنيتي لان
زوجي ملزم أن يبقى في دمشق

قالت نازك ـ وما الذي يجبره على بقائه في دمشق
وولده بعيد عنه

قالت الهانم ـ اشغاله الكثيرة تمنعه يابنيتي

قالت نازك ـ ألم يطلبني انا وتوحيدة للذهاب الى الاستانه كي نخدمه

قالت الهانم ـ كلا لم يطلبك واذا فرضنا وطلبك فانا امانع

قالت نازك ـ ولماذا ياسيدتي

قالت الهانم ـ لانى اريدك ان تكوني سميرتي الوحيده تسليني على فراقه

وقد عزمت على ان ازوجك بامين ابن احمدافندي فتبقين بيننا وتصيرين ربة المنزل بعدي انا

فرجعت نازك الى الوراء مذعورة

فلحظت ذلك الهانم فعلمت مقدار ميلها الى رضا وكرهها الى امين ولكنها املت بالملاطفة والملاينة ان تتمكن من استمالتها الى الزواج بالاخير فقالت

مالي اراك منذعرة يابنية تقدمي مني لاعانقك .

فما كثر ما ينذعر الفتيات عند ذكر الزواج

اني اريدان افرح بك يابنية فلماذا كل هذا الكدر

ثم عانقتها وقبلتها والفتاة ساكتة لا تبدي حراكا
فقالت لها نم كيف رأيتي يابنية الاقتران بامين

اجابت وهي ترتعش

كلا لا اريد الزواج مطلقا فانا خادمة لسيدي رضا فقط

قالت الهانم ـ واذا كان رضا هو الذي أراد زواجك بامين

قالت نازك ـ وهل سيدى رضا هو الذى طلب زواجي بامين

قالت الهانم ـ نعم وقد بين ذلك في اشارته التي ارسلها الى الوزير والده

فصمتت نازك برهة وقالت بهدوء

كلا لاأريد أن أتزوج مطلقاً بل أرغب الذهاب الى الاستانة كي اخدمه وزوجته أيضا

قالت الهانم ـ لو كان له رغبة فى خدمتك لكان أرسل بطلبك

قالت نازك ـ اذن فسأكون خادمتك انت ياسيدتي

وأما الزواج فارجوك أن لاعدت تذكريه أمامى

قالت الهانم ـ الاوفق أن تقبلي يا بنيتي بالزواج بامين والا فان الوزير يهبك له

وبرفضك قبوله زوجا يولد في قلبه البغض لك فينال منك مرامه اذ تكونين هبة من الوزير اليه ثم تعيشين منه عيشة الذل والقهر

فانهمر الدمع من عيني نازك واخذت تبكى فقالت لها الهانم

لم هذا البكاء ياعزيزتى وانت مكرمة بيننا ولماذا تحزنين مادمنا نحبك

فقومى واغسلى وجهك من أثر الدموع ولاتظهرى انك تكرهين امين لئلا يؤول الأمر الى تنغيص معيشتك

فخرجت نازك دون ان تنبس بكلمة وقصدت غرفتها واخذت في البكاء

وبقيت كذلك حتى المساء فذهبت اليها سيدتي الهانم واخرجتها من غرفتها رغما عنها وتناولتا طعام العشاء

وفي تلك الليلة اتفقت سيدتي الهانم مع سيدي الوزير على ان يكون كتب الكتاب في اليوم التالي

فطلب سيدي احمد افندي في السلاملك الخارجي واخبره بالامر فكاد الاخير ان يطير فرحا واستدعى ولده أمين واخبره بالمسأله وامره ان يتقدم ويقبل ايادي سيدي الوزير ففعل

وثاني يوم فرقت أوراق الدعوة الى عموم رؤساء الحكومة وموظفيها ووجهاء دمشق وقاضي قضاتها

وزينت السراى باجمل الزينة وفي المساء اقبل المدعوون الواحد تلو الآخر حتى غصت السراي بمن فيها

وطلب القاضي التوكيل عن نازك فاسرعت الهانم الى غرفة الاخيرة فوجدتها تبكى

فطلبت منها ان تقوم كي توكل عنها أحدا فرفضت فالتفتت الي سيدتي الهانم وكنت واقفا بجانبها وقالت

اذهب يافيروز وادع الوزير

ولما رأت نازك ان العناد لايفيد قامت حتى

وصلت باب السراى

فسألها الشهود قائلين

من هو وكيلك

فلم تجب بل لبثت صامتة

فاجابت عنها سيدتي الهانم قائلة

وكيلها فيروز اغا

وكتب الكتاب فاستولى السرور على احمد افندي وولده امين ولولا وجود المدعوين من الطبقة العالية لكان رقصا طربا

وامر سيدي الوزير ثانى يوم بادخال احمد افندي وولده امين الحرم وتعين الفرح بعد سبعة ايام واخذوا يجهزون لنازك جهاز العرس

﴿ الفصل الخامس والاربعون ﴾

رضا فى الاستانة

ساد السكوت على سكان الباخرة ووقف الركاب على « درابزونها » يودعون بور سعيد الميناء المصرى

واهتزت الباخرة قليلا واخذت بالمسير رويداً رويداً حتى خرجت من الميناء ثم سارت تشق عباب البحر قاصدة الاسكندرية

وكان بين الركاب على درايزون الباخرة اصحابنا الاربعة وهم كاظم باشا وحقي وعطا افندى وفيروز اغا مازالوا ينظرون الي بور سعيد نظرة الوداع حتى غابت عن انظارهم فرجعوا الي مكانهم

فالتفت كاظم باشا الى فيروز اغا وقال

حدثنا يافيروز ماذا جري برضا بك بعد سفره الى الاستانة

ـ سآتيك بحديث من اعجب العجب ايها الوزير

وصل سيدي رضا الى الاستانة وقابل جده فقابله الصدر الاعظم بترحاب وضمه الى صدره وقال

كيف الحال الآن ياولدي

اجاب ـ انى اتيت فارا من عبد السلام حتى تتمكن الحكومة من القبض علية

قال ـ لا تخف ياولدى فقد صدر الامر الى والي

ولاية سوريا والمشير بالقبض على الشقي حيا أو ميتاً

ولكن سيدي رضا لم يكن يهدأ له بال فكان يقرأ الجرائد اليومية كي يطلع على اخبار دمشق

ففي اليوم الذي قتل فيه عبد السلام قرأ رضا في جريدة الجوائب اشارة برقية تتضمن قتل الاشقياء

فرقصت جوانحه طربا وسر سروراً لا يوصف واستدعى تابعه ديلاور واطلعه على الاشارة البرقية

فسر ديلاور لسرور سيده وانشرح صدره لخلاص رضا من الاشقياء واراد سيدي الخروج والذهاب الى الباب العالي كي يطلع جده على الاشارة المتضمنة هلاك اعداءه

وهو على وشك الخروج دخل فخامة الصدر الاعظم وقال

الى اين ياولدي

اجاب رضا ـ كنت ذاهبا الى الباب العالي كي اطلعك على الرساله البرقية الواردة الى نظارة الجهادية

ة . . .

فقاطعه جده وهو يبتسم قائلا

أليست التي تتضمن هلاك عبد السلام ورجاله

قال رضا بتعجب

عجبا عجبا اراك مطلعا عليها

فضحك الصدر الاعظم وقال

نعم لقد وصلني الخبر وكنت آتيا كي أبشرك بهلاك اعداءك ولكن كيف علمت الخبر

قال رضا ـ اطلعت عليه في جريدة الجوائب وما دامت قد زالت الموانع من وجودي في دمشق وقد زال الخطر فارجو ان تسمح لي بالعودة اليها

قال الصدر الاعظم ـ ولماذا العجلة ياولدي اراك زهقت من وجودك بيننا

قال رضا ـ حاشاي ايها الجد العزيز ان امل من وجودي بينكم ولكنك اعلم باني موظف وانه يجب علي الرجوع لاستلام مهام اشغالي

لاسيما وقد تركت اشغال الدائرة بدون ترتيب ونظام وخرجت بغتة من دمشق

فوجودي هنا يضرني ماديا وادبيا

فتهقه الصدر الاعظم محمود باشا نديم وقال

اظنك مشتاقا الى والديك واحتججت عما قلته .

لا بأس فمتى تريد السفر

قال رضا ـ غداً ايها الجد العزيز

قال الصدر الاعظم ـ كلا فبعد ثلاثة أيام تسافر وفي خلال هذه المدة ساتأكد .اذا كان الخطر قد زال

فمضى اليومان والثالث فامر الصدر الاعظم باعداد معدات السفر

وكان سيدي رضا قد ابتاع سوارتين من لذهب الخالص مرصعتين بأثمن الحجارة الكريمة اخذهما هدية معه الى خطيبته عين الحياة

وسافر في اليوم الثالث في أول باخرة ابحرت الى بيروت بعد ان ودع جده وجدته

ولما وصل بيروت ركب هو وديلاور عربة الشركة القاصدة دمشق فوصلاها عند المساء دون ان يعلم احد

فلما وصل السراي رأى الانوار تبهر الانظار

فاستغرب الامر ودخل فهجم عليه خدمه يسلمون عليه
وكنت انا بينهم فسألني عن تلك الزينة
فاجبته انها لاجل زواج امين بنازك
ثم اخبرته بما صار وبما دار بيني وبين والدته بشأنه
فسر كثيراً لخلاصه من نازك وسار قاصدا والده
فقبل يده فضمه الوزير الى صدره واجلسه بجانبه وحدثه
كيف قتل سرور اغا عبد السلام حتى قال
واحمد الله ياولدي فقد كفانا سرور اغا شر هذا
الشقي ورجاله
وانظر ياولدي فقد كنا منذ اسبوعين في كدر
وخوف والآن نحن في سرور وانشراح
وسنزف نازك الى امين غدا فعسي ان تكون
ياولدي العزيز راضيا عن ذلك
قال رضا وفؤاده ممتلىء سروراً
اني اتمنى لهما عيشة الصفاء والسعادة
ثم استأذن والده وخرج قاصدا الحرم فقابلته
والدته بقبلاتها الوالديه وهي تذرف دموع الفرح

وهما كذلك هجمت نازك على اقدام سيدي رضا تقبلهما وتبكي وتصيح قائلة

انقذني ياسيدي

فمد يده ورفعها عن الارض وقال

مالي اراك تبكين ايتها العزيزة وقد كنت اظنك مسرورة

ام ربما يكون بكاؤك افرط سرورك

قالت وهي تشهق بالبكاء

انى حزينة حتى الموت

فشعر سيدي بالرأفة نحوها وقال

ولماذا تحزنين ياعزيزتي والكل يحسدونك على ماناتيه من السعادة

قالت ليتني لم اكن فقد اجبروني على البعد عنك . بالله اشفق علي وانقذني من بين ايديهم

فاشفق سيدي عليها وقال

اقلي بكاؤك وسأقابلك بعد ساعة وارى بعد ذلك ما تريدينه

قالت ـ اريد ان اكون جارية لك مدى حياتي ليس الا

فقال سيدى متأثراً

اذهبي واغسلى وجهك وسأقابلك فتعلميني عن سبب كدرك ولا يكون الا ماتريدين

*
* *

بعد ذهاب نازك سارت سيدتي الهانم بولدها رضا الى غرفتها الخصوصية لان بقيـة الغرف ملآى بنسـاء الاشراف والوزراء والمدعوات واقفلت بابها وجلست واياه على مقعد وقالت له

انى مندهشة ياولدى من عناد نازك فمنـذ كتب الكتاب وهي منزوية في غرفتها تحيي ليلها مع نهارها في البكاء والنحيب وكنا عازمين على اخراجها من غرفتها لنتم لها لوازم الزفاف فتوقفت

فالتزمت ان اجرحها بقارص الـكلام ولو لم تأت لكنت ضربتها

فارجو ياوالدي ان تحـذرها عاقبة عنادها كي لا تتوقف ليلة الزفاف فاوعدها بذلك ثم استأذن وخرج

الفصل السادس والاربعون

(الخصام بين الوزير واحمد افندي اخيه)

قصد سيدي غرفة نازك فوجدها له بالانتظار فاسرعت وقبلت يده فجلس وجلست بجانبه فقال لها اخبريني ماالذى ابكاك يانازك

اجابت — أراد والداك ان يبعداك عني

قال — كيف ايتها العزيزة

أجابت — تركاك حتى سافرت الى الاستانة وانتهزا فرصة غيابك وكتبا كتابي على امين بن عمك رغماً مني ولكم بكيت وطلبت منهما ان يرأفا بحالى ولا يجبرانى على الزواج فكانا يصمان اذنيهما عن سماع كلامي فبالله الا أشفقت علي ورأفت بي وانقذتني مماانا فيه لانى لااطيق البعد عنك

فتأثر رضا من كلامها وقال

ألا يوافقك الزواج بامين

أجابت ـ كلا كلا لا اريد الزواج مطلقا بل اريد ان اكون خادمة لك مدة حياتي

قال ـ وهل بقائك خادمة لي مدى حياتك اوفق لك من ان تكوني زوجة ابن عمي وسيدة هذا المنزل

قالت ـ بل افضل ان اكون جارية لك ولمن تتخذها زوجة

قال ـ ماهذا الكلام أيتها العزيزة فلو سمعه غيري لظنك مختلة الشعور

فهجمت على اقدامه تقبلها وتبكي وتقول

ارجوك ياسيدي ان تنقذني . خلصني من هذا الزواج

وهما كذلك فتح الباب بشدة ودخل منه امين وهو يرتجف والتفت الى رضا وقال له

ماهذه الجسارة يارضا ألى هذا الحد تمادي وتجتمع مع زوجتي في غرفة وتغلق بابها

فقم واخرج منها حالا

فقال رضا مبتسما

لا تسيء بي الظن يابن العم وارجو ان تخرج وتبقى خارجاً قليلا من الوقت حتى اتمم لك ماترغبه

قال امين وهو يحتدم غيظا

لا بل انت الذي يخرج والا فاني افتك بك

ثم اخرج من جيبه مسدسا من بين ثيابه وصوبه على رضا واطلقه

ولما كانت يده مرتجفة مرت الرصاصة بجانب كتف سيدي ولكنها لم تصبه باذى

فهجم عليه رضا واستخلص المسدس من يده ورفسه برجله ومازال يدفعه حتى اخرجه الى خارج الغرفة واقفل بابها

فسمع النساء المدعوات الطلق الناري فاسرعن كي ينظرن ما الخبر فوجدن امين امام باب غرفة رضا والغضب مستول عليه

فتقدمت الهانم ونقرت باب غرفة رضا وقالت

افتح ياولدى

ففتح لها فوجدته في حالة تكاد تذهب برشده وبيده المسدس

فسألته قائلة

ماالخبر وماذا جري ياولدى ومامعنى وجود المسدس

بيدك

ومن عظم اشتداد غضبه لم يجبها بل خرج قاصداً السلاملك الخارجي حيث كان والده والمدعوون من الوزراء والوجهاء وخلافهم جالسين يتحدثون

وتقدم من والده والقى بالمسدس أمامه وقال له بصوت يرتجف

لك الحق في ان تتصرف فيما هو ملكك فقط واما فيما يملكه غيرك فلا حق لك في التصرف فيه

وهنا بهت الحاضرون واستولى عليهم السكوت كأنهم صعقوا فلما تمالك سيدي الوزير وعيه التفت الى ولده وقال له

مامعنى هذا الكلام

قال ـ معنى ذلك هو انكم قد انتهزتم فرصة غيابي في الاستانة واجبرتم نازك على الزواج بامين دون ان أعلم

والحمد لله اني اتيت قبل ليلة الزفاف فنازك هي جاريتي وانا التي اشتريتها فلا حق لاحد بالتصرف فيها

وبما انكم عازمون على ان تزفوها على امين فأنا آخذها واخرج من منزلكم

ثم ترك والده والمجتمعين في ذهول وخرج يركض كمن اصيب بمس من الجنون ودخل غرفة نازك وامرها بان تلبس ازارها

فدخلت وقتذاك الهانم وارادت منع نازك من الخروج حتى تعرف السبب الذي اوجب رضا الى فعل مافعله

ولكنها لم تتمكن من ذلك اذ كان رضا في حالة صعبة تكاد تشابه الجنون

اما سيدي رضا فانه سار بنازك الى باب الحرم فتقابل مع حمد افندي

فاراد لاخير ان يمسك بنازك ويمنعها عن الخروج فاعترضه رضا والتفت الى نازك وقال

اتبعيني

فاشتد الغيظ باحمد افندي وقال

أتأخذ زوجة ابني فالموت اهون من ذلك

ثم هجم على رضا يريد الفتك به

فهجمنا نحن عليه وكنا واقفين ننتظر النتيجة وابعدنا

عمه عنه

ولكن احمد افنـدي لم يرتد بل اخذ يقاوم كي

يصل الى رضا

فالتزمنا بان نخبر سيدي الوزير فاسرع الى حيث

كنا واقفين ورد اخاه ونظر الى رضا فرآه لايعى الى

مايعمل فخاف من حدوث مالايحمد عقباه فامرنا بان

نأخذه هو ونازك الى المـنزل الصغير حتي يثوب الى

رشده

فسرنا الى المنزل الصغير فدخله مع جاريته نازك

وصعدا الى الطبقة الثانية فيه

فاشعلنا الانوار وتقدمت كي اكلمه فانتهرني وامرني

بان اقول الي ديلاور ان يبقي في اسفل المنزل

وخطر لي ان آتي له بوالدته كي تهدىء ثورة غضبه

فاسرعت اليها واتيت بها اليه

ثم رجعت الى السراي فوجدت الخصام محتدما

بين سيدي الوزير واحمد افندي بشأن رضا

وسمعت الاخير يقول له

ألي هذا الحد يتجاسر على دولتكم وانتم ساكتون عنه

اجابه سيدي الوزير

لاشأن لك في ذلك

فاشتد الحنق باحمد افندي وقال

اذا كنتم تتغاضون عن سفاهته فانا لا اتغاضي عن دخوله الى غرفة زوجة ابني واغلاقه الباب عليها

هذه اهانة لاتحتمل كلا فلا اغض النظر عن ذلك مطلقاً

فحملق سيدي الوزير في احمد افندي وقال

انا آمرك ان تجلس وتترك هذا الامر الى وقت آخر حتى اعرف الاسباب

قال احمد افندي

انا اعلمك السبب

قال الوزير ـ قل ماهو السبب

قال احمد افندي ـ بلغ امين ان رضا دخل غرفة

زوجته فقصد الغرفة فوجد الباب مغلوق

فهاج به الغضب وفتحه فرأى نازك ورضا يتحدثان سراً

فامر امين رضا بالخروج فامتنع واجابه بانه أي امين هو الذى يجب ان يخرج ويتركه والا فانه يجبره على الخروج

ولما ان هذه اهانة لاتنكر اخرج امين من جيبه مسدسا واراد ان يلقي في قلبه الخوف فانطلق منه الطلق خطأً ولكنه لم يصب رضا

فهاج ولدكم وقام واستخلص المسدس من امين وضربه واخرجه واتى اليكم واوصمكم بالخيانة واهانكم بقبيح الكلام دون ان تردعوه

ثم لم يكتف بذلك بل أخذ نازك وخرج من الدائرة

وقد كنت اريد منعه فاعترضتموني والصقتم بي عاراً لن يمحى

هذا ماحصل ايها الوزير

قال سيدى ـ وماذا تريد الآن

اجاب احمد افندي ـ اريد ان ترد زوجة امين

حالا ولا يعود الى مقابلتها مطلقا

قال سيدي ـ واذا كنت اجيبك بالسلب

قال احمد افندي ـ آخذها قوة واقتداراً ولو الزمتني الحالة الى قتل رضا

فنظر اليه سيدي الوزير نظرة استخفاف واستهزاء وضحك ضحكة المحتقر الى من هو دونه مقاما وشانا وقال

هل تقدر ان تقرن القول بالفعل

اجاب احمد افندي ـ لم لا وقد ثلم شرف ولدى امين

قال الوزير ـ هل غاب عن فكرك ان التى تدعى بانها زوجه ولدك امين هى جارية ولدي رضا ولا حق لاحد ان يتخذها له زوجة الا بارادته

وقد كتب الكتاب بغير معرفته وقد حدث ذلك خطأ منا نحن وليس منه

فحملق احمد أفندي في الوزير غضبا وأراد الكلام ولكن سيدى اسكته بان اردف قوله

وتأكد يا أحمد أفندي ان ما فعله ابنك امين باطلاق الرصاص على ولدي يحاكم عليه بالسجن المؤبد والاشغال

الشاقه

فزأر احمد افندي كوحش مفترس وقال

له الحق ان يفعل اكثر مما فعل لان رضا ثلم

شرفه بان اختلى مع زوجته في غرفة اغلقا بابها بدون رأيه

وقد قصر والدي فيما يجب عليه فعله فكان الاجدر به

ان يقتله لانه

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذي

حتى يراق على جوانبه الدم

فنظر اليه سيدي نظرة غضب وقد اخذ غضبه

يثور وقال

اهكذا كان يجب عليه ان يفعل برضا

قال احمد افندي نعم — وقد حدث ما حدث فارجو

رد زوجة ابني ومجازاة رضا على ما فعل

فلبث سيدي الوزير صامتا والشرر يتطاير من

عينيه فقال احمد افندي

اراك تنظر الي شذراً كانك غير راض عن كلامي

فاذا كنت لا تجازيه فانا قادر على معاقبته

فلبث سيدي الوزير صامتا

فازداد حنق احمد افندي وقال

يظهر انك لاتتنازل الى مجاوبتي ايها الوزير بعد ان ثلم ولدك شرفي وشرف ابني

فرفع سيدى طربوشه حتى بانت جبهته وكانت هذه دلائل غضبه ونظر الي احمد افندى وهو قاطب الحاجبين

انك تريد ان ترد اليك زوجة ابنك

اجاب ـ نعم

قال ـ وان يعاقب ولدي بالقتل

اجاب ـ هو كما تقول

قال ـ الا تتنازل عن طلبك

اجاب ـ كلا

فوقف سيدي الوزير وصرخ فيه صوتا عظيما دوت له السراى وقال اتريد قتل رضا ايها السافل . فقد ظهر لى خبث نواياك وان جميع ماحصل لهلاك رضا كان باغرائك واغراء ولدك

فكم عاملتك ايها اللئيم بالحسني وكم صفحت عن اساءآتك الي والى ولدي شفقة مني عليك ولانني اكره ان اكون سببا في الاضرار بالناس

رحمتي وشفقتي وحبي للعدل جرءآك على اهانتي والاضرار بولدي فاخرج انت وولدك من دائرتي مطرودا واذهب الى حيث الاوباش ورعاع القوم واسكن معهم لان طباعك توافق طباعهم ولولا شفقتي لاوردتك موارد الهلاك

فتكدر احمد افندى اذ رأي سيدي الوزير يطرده فقال وقد أيس من الحياة

اتطردني ايها الوزير

فنظر اليه الوزير غضبا وقال

نعم اطردك اليس لى الحق اذا آمر برميك كما يرمي الكلب مادمت تضمر الي رضا الشر والضرر

واراد أحمد أفندى ان يخيف الوزير فقال

وهل اذا طردتني ارجع عن اخذ ثار ولدى كلا كلا فاني سأنتقم من رضا

وهنا ثار غضب سيدي الوزير كما يثور البركان وصرخ قائلا

ايها اللص ايها الجبان . ايها الخائن أتتجرأ ان تقول ذلك امامى

اخرج والا فانى آمر بالقبض عليك وارسالك الى السجن مؤبداً

فتوقف أحمد افندى لانه يعلم ان سيدي الوزير رؤوف شفوق وقال

كلا لا اخرج فافعل ماتشاء

ولكن وقتها قد تلاشت الشفقة من قلب سيدى الوزير من نحو احمد افندى

واذ رآه متوقفا عن الخروج امر الخدم بطرده رغما عنه

فقام الوالى والمشير للتوسط بينهما ولكن سيدى رفض قبول وساطتهما

فتقدم الخدم الى احمد افندى كي يخرجوه فاخذ يضربهم فكانوا يفرون من بين يديه ثم يعودون اليه

خوفا من سيدى الوزير

وبينما هم كذلك دخل ديلاور وتقدم من سيدى الوزير وقال

سيدى رضا في خطر شديد فهيا ياسيدي الوزير واسرع اليه

ولاشتداد غضب سيدي الوزير لم يع الى قول ديلاور بل كان كل التفاته موجها الي الخدم يأمرهم باخراج احمد افندى

وكان الطبيب سمعان افندي مع الوزراء في الغرفة فاذ سمع كلام ديلاور هرول مسرعا الى المنزل الصغير كي يعمل على شفاء رضا

واما ديلاور فانه تقدم من سيدى وقال اسرع الى رضا وانا اتعهد لك باخراج احمد افندى وولده من الدائرة

فصرخ سيدي بدون وعي

اخرجه ياديلاور حطمه اذا توقف

فخرج سيدى الوزير قاصدا المنزل الصغير كي

يرى ولده

واما ديلاور فانه تقدم بهدوء من احمد افندي ومنع الخدم عنه وقال الي الاول وهو يضع يده على كتفه

اما سمعت يا احمد افندي امر سيدي الوزير فاخرج اولى من ان اجبرك على الخروج

فحملق احمد افندي في ديلاور وقال

كلا لا اخرج ايها النذل

فلم يكن جواب ديلاور الا دفعة من يده القت احمد افندى على الارض

فاراد احمد افندى ان يثور ولكن ديلاور لم يمكنه بل رفعه عن الارض بساعديه المتينين كما يرفع الباشق العصفور وقذف به من فوق السلم

فنزل يتدحرج كالكره

فصرخ ديلاور الى احد الخدم الواقفين في اسفل الدرج قائلا

انظر اليه ياحمدان فهل مات ام لا يزال حياً

اجاب حمدان وهو ينظر الي احمد افندي بيناكان الاخر يلملم نفسه ليقوم ولا يقدر لانه كاد يتحطم

كلا لم يمت بعد

ثم تقدم حمدان من احمد أفندى واقامه عن الارض وما زال يسنده حتى اخرجه من السراى

وقام المشير وتنذالث وارسل مع احمدافندى احد خدمه كي يوصله الى منزله حتى يسعي الي الصلح بين سيدي وبينه

ثم طاب من احد الاغوات ان يذهب ويستفهم عن حالة سيدى رضا

فذهب الاغا وبعد قليل عاد وقال

سيدى رضا مغمى عليه وحالته تنذر بالخطر وطبيبه سمعان موجس خوفا عليه وقد طلب جملة من الاطباء لمساعدته

فطلب منه المشير ان يذهب ويستفحص جيدا ويأتي ويخبره

فعاد الاغا وغاب ساعة ثم رجع وقال للمشير

لقد افاق سيدي من اغمائه ولكن حالته مخطرة وسننقله الى السراى

وبعد برهة نقل سيدى رضا الى غرفته في السراى وجلس بجانبه سيدي الوزير وسيدتي الهانم وطبيبه سمعان حتى استغرق في نوم عميق

ولم يتمكن سيدى رضا من الخروج في هذا اليوم لانه كان ضعيفا

الفصل السادس والاربعون

الهديه

في الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم اتت شوقدار هانم زوجة المشير وصحبتها ابنتها عين الحياة كي ينظرا سيدي رضا

فقابلتهما سيدتي الهانم بما يليق بهما من الاكرام ووجدت انها انسب فرصة لتعلم بها اذا كان ولدها يهوى عين الحياة فهرعت الى غرفة رضا واخبرته بقدومهما لزيارته والسؤال عنه

فبدى السرور في وجه رضا وقال

أين هما

أجابت وقد لحظت سروره

هما في غرفة الجلوس

قال ـ ادخليهما

فذهبت الهانم اليهما واخبرتهما بان ولدها يطلب رؤياهما فسارتا اليه تتقدمهما الهانم حتى دخلا عليه

واذ رأى سيدي رضا عين الحياة ووالدتها قادمتان نحوه جلس على سريره واخذ يد شوقدار هانم وقبلها

وجلست عين الحياة ووالدتها على كرسيين بجانبه تحدثانه وتستفهمان منه عن صحته

ولرغبة سيدتي الهانم لكشف ما يكتمه سيدي رضا من الحب نحو عين الحياة خرجت وتركتهما مدعية ان عندها اشغال توجبها الى الخروج

فلما خرجت سيدتي الهانم التفت سيدي رضا ذات اليمين والشمال فوجدني على الباب واقفا

فناداني فهرعت اليه فامرني بان احضر من قطر

«شنتة» السفر علبة كانت فيه

فقملت

فاخذ العلبة وقدمها الى عين الحياة وقال

هذه برسم المخطوبه هدية مني اليك

فاخذت عين الحياة العلبة وقد علا وجهها الحياء وقالت تخاطب والدتها

افتحي العلبة ياوالدتي لنرى ماذا تحتوي

ففتحت الهانم العلبة فبان منها لمعان يذهل البصر ويبهر النظر فنظرت الى رضا مبتسمة وقالت

انهما الجميلتان فمن اين ابتعت هاتين السوارتين الجميلتين

قال ـ من الاستانه

واما عين الحياة فعبرت عن شكرهما الى سيدي على تلك الهدية بنظرة كانت كسهام اخترقت قلبه واختلج لهالبه

وكانت في خلال حديثهم سيدتي الهانم واقفة وراء الباب تسمع ما يدور بينهم

ولما رأت تانك السوارتين الثمينتين المقدمتين من ولدها الى عين الحياة هدية تأكد لها ان الحب يشغل الطرفين

فظهرت من وراء الباب فقطعت عليهم الحديث وجلست بينهم دون ان تظهر انها سمعت او علمت بشيء

وبعد برهة من الحديث استأذنت زوجة المشير وابنتها وخرجتا فاوصلتهما سيدتي الهانم الى الباب ورجعت قاصدة غرفة زوجها واخبرته بما سمعت ورأت وطلبت منه بان يقوم بخطوبة عين الحياة الى رضا

فاوعدها بذلك

وشعر سيدي في ذلك اليوم بانه أحسن حالا من الايام السابقة فقام من فراشه وخرج من غرفته وقصد غرفة الجلوس حيث كان والداه وركع امامهما وطلب من والده السماح على ما صدر منه ضده

فدمعت عينا سيدي الوزير وعانق سيدي رضا وقبله وقال

احمد الله ياولدي الذي انت بخير فلا تفكر فيما

مضى قبل رغبتي ان أراك سعيداً

وما زالوا في حديث حتى صار الوقت مساء فقاموا الى المائدة وتناولوا الطعام

وما كادوا يفرغون حتى دخل أحد الاغوات وقال مخاطبا سيدي الوزير

دولة المشير لكم في الانتظار

فقام سيدي بعد ان نبه على رضا بعدم الخروج من الحرم واستقبل المشير ودخلا غرفة الاستقبال في السلاملك الخارجي

فالتفت الى سيدي الوزير وقال

كيف حال رضا الآن

أجابه ـ نحمد الله فانه احسن حالا من ذي قبل وقد تناول طعام العشاء معنا الليلة

(تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع وفيه تتمة الكلام)

(وسيصدر في يوم ٢١ فبراير الجاري)

اجود الاصناف

نعلن الجمهور اننا اتبعنا فكرة استحضار اجود اجود البضائع مع جعل الاثمان زهيدة جدا بالنسبة لقيمتها ومتانتها حتى حزنا على ثقة العموم وزيادة الاقبال وقد جعلنا جملة تسهيلات للزبائن وخصوصاً قاطني الجهات في انحاء القطر المصرى ولدينا كافة اصناف الجزم الانكليزية والامريكانية للرجال والسيدات والاولاد وجميع اصناف القمصان والكرافاتات والروائح والفانلات والمناديل والعصي وادوات لزوم السفر وجملة اصناف اخرى والاثمان محددة احمد كامل وشركاه

بالموسكي بمصر

نرجو من حضرات مشتركينا الافاضل تسليم الاشتراكات لمن بيده وصولات ممضاة منا ومنه ومختومة من ظاهرها بختمنا ويكون لحضراتهم منا مزيد الشكر

تكرم حضرة الفاضل احمد افندى كامل التاجر الشهير في الموسكي بان يكون وكيلا عاما لمجلتنا في مصر فله منا الشكر

حضرة احمد افندى كامل التاجر الشهير بالموسكي وكيل عام بمصر

الاستاذ روفائيل افندى سعاده وكيل عام بدمشق الشام وعموم ولاية سوريا

توفيق افندي ورلي وكيل عام بمديرية المنوفية وبندر طنطا

المتعهدون

الاسكندريه — احمد افندي عيسوي متعهد الجرائد داخل وكالة الرنسيس نعمة الله هانم امام كنيسة الانكليز بشارع البوسطه

القاهرة ـ دعمري افندى رزق له ريا الكتبي

دمنهور ـ محمد ومحمود نوار افندى متعهدى الجرائد بمكتبتهم بشارع المحطه

المنصوره — احمد افندى عبد المجيد

بنها — المكتبه الادبيه

المجله تقبل اعلانات بالاتفاق مع صاحبها

العنوان

جورجي سعاده صاحب مجله سلسلة الروايات العثمانية بطنطا